مليونيرات الناصرية

تأليف
فاطمة مصطفى

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
http://gate.dar-elmarf.com

تصميم الغلاف: سـارة شريـف

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg
http//: gate.dar-elmarf.com

إهـــداء

إليك يارب العالمين.. سبحانك

اللهم اجعلنى أخشـاك كأنى أراك واسـعدنى بتقواك ولا تشـقنى بمعصيتـك.. وخـر لى فى قضائك وبارك لى فـى قدرتك حتى لا أحب تعجيـل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت... واجعل غناى فى نفسـى.. ومتعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى.

المؤلفة

فاطمة مصطفى

مقدمـــة

ماذا تعنى الناصرية؟.. وما هو هذا المفهوم؟..

ارتبطـت الناصرية فى أذهـان الجماهير العربية.. وأيضـا ضمير الفكر الإنسـانى والعالمى.. بأنها مذهب سياسـى نتـاج لمجموعة معالم وقيم فكرية.. ومحصلاتها التطبيقية التى أرسى دعائمها النظرية وقاد تجربتها العملية جمال عبد الناصر طيلة ثمانية عشر عاما، والتى كان بناء الدولة العصرية الحديثة فى مصر أعظم معطياتها العملية.. وشـاهدا حيا يؤكد عملية وموضوعية كل ما استخلصته الناصرية من تحديد لمسارها!!

والناصرية ظاهرة من أهم الظواهر التى شهدها الفكر السياسى فى النصف الثانى من القرن العشـرين، بل ليس تعاليا أو بعيدا عن العملية إن قلنا إنها أهم هذه الظواهر المماثلة والتى واكبت – فكرا وتطبيقا – نفس الفترة الزمنية وانطلاق الناصرية..

وكما يفهم من منطوقها أنها ليست مجرد تعبير عن رأى فرد أو جماعة.. بقدر ما هى تعبير عن صياغة نظرية لمسار ثورة يوليو.. وإن كان وجودها لم يقـف عنـد الصياغة النظرية وإنمـا تعدى ذلـك إلى التجربة الحية وفقـا لواقع محدد هو الواقع المصرى.. لهـا منطلقاتها وأهدافها القومية التقدمية، ومسـارها امتد ليشـمل دائرة العالم الثالث كتجربة رائدة لها مالها وعليها ما عليها.. قابلة للتطبيق والاستفادة والإفادة.

والناصرية كظاهرة سياسية واجتماعية واقتصادية لم تكن وحدها فى هذا المجال.. وإنما هناك العديد من الظواهر التى ظهرت معها فى نفس الفترة الزمنيـة تقريبا.. وعرف العالم تجـارب عديدة، إلا أن الناصرية تميزت

عليهـا جميعا بقدرتها على الاسـتمرار برغـم كل ما قابلته من مقاومات وعقبات اعترضت طريقها.

والناصرية.. ارتباطا بهذا المفهوم تجربة نضالية.. ترى فى الثورة الطريق الوحيد، الذى تستطيع المجتمعات أن تعبر عليه من الماضى إلى المستقبل. والوسـيلة الوحيدة التى تستطيع بها الشعوب المقهورة أن تخلص نفسها من الأغلال التى كبلتها ومن الرواسب التى أثقلت كاهلها!!

والثورة هى الوسـيلة الوحيدة لمقابلة التحـدى الكبير الذى ينتظر الأمة العربية.. وغيرها من الأمم التى تستكمل نموها!!

ولا يجـب أن يغيب عـن الأذهان أن الناصرية لم تـأت هكذا من فراغ ولم تجد سـبيلا لتحقيـق مبادئها لو لم تجد الواقع الذى شـهد تطبيق الناصرية.. وأيضا الظروف الخاصة التى أحاطت بالعالم العربى والظروف المتغيرة فى العالم المعاصر.. وبعد الحرب العالمية الثانية.

إلا أن هناك نقطة أساسية واحدة.. مازال يرى بعض أصحاب هذا المنهج أن الناصريـة فى حاجة ماسـة بعد غياب مفكرهـا وقائدها إلى تأصيل لوجهـة نظرها..وتعميق لأمجـاد حركتها الثورية.. وعلاج لسـلبياتها عن طريق التطبيق.. وتدعيم لوجودها بالاستمرار بالمنهج الذى بدأ خطاه مفكر الناصرية وفكرها عبد الناصر.

الناصرية.. ومفهوم القيمة

حسب مفهوم الاشتراكية.. لابد للدولة لكى تكون اشتراكية بالفعل.. أن تمثل مصالح الجماهير الشعبية!!

وهنا يتبادر سؤال: من يحصل على القيمة الفائضة من الإنتاج؟! أى من يحصل على الربح.. هل هم الرأسماليون؟! كما فى النظام الرأسمالى.. أم الدولة كما فى النظام الاشتراكى؟

وفى كلتا الحالتين.. نجد أن العاملين لا يحصلون على شىء سواء كانت ملكية رأس المال فى يد الأفراد أو فى يد الدولة..

ولكن من الملفت للنظر أن المتشدقين بالناصرية ليل نهار انفصلوا عن مبادئهم وإيماناتهم التى طالما اعتنقوها.. وآمنوا بها ونادوا بها.. ليس فقط انفصلوا عن تلك المبادئ بل تناسوها.. وكأنها هجرت عقولهم ونفوسهم وأرواحهم.. فظهروا بوجه جديد وبشكل جديد.. وبآراء بعيدة كل البعد عن تلك المعتقدات وتلك الإيمانات وتلك المبادئ.. بل اعتنقوا مبادئ متناقضة.. متنافرة مع مبادئهم القديمة!! ومارسوا فى حياتهم وأفكارهم وأعمالهم مذهبا آخر على النقيض وعلى الطرف الآخر وهو النظام الرأسمالى.

ترى كيف استطاع هؤلاء الذين أصبحوا من المشاهير أن ينزعوا بهذه البساطة رداء الناصرية؟! ويرتدوا بنفس البساطة والسهولة رداء آخر فضفاض مزركش زاهى الألوان.. مبهر للعين يسمى الرأسمالية؟

هذا ما سنحاول أن نجيب عنه فى سطورنا القادمة فى هذا الكتاب!

تمهيـــد

أصبح عصرنا الحالى.. «سمك..لبن..تمر هندى».. فلم نعد نعرف من ينتمى إلى من؟..

قيـم غريبة.. متباعـدة.. متناثرة..لا رابط بينهـا.. ولا جذور.. أحزاب كثيرة تظهر..ويسـرع الكثـيرون مهرولين إلى الانتماء إليهـا.. واعتناق مبادئها.. والإيمان بها لدرجة اليقين!!

ثم فجـأة.. وبنفـس السـرعة..يهرولون إلى حزب آخـر.. ولكل منهم مبررات.. عجيبة.. غريبة.. تثير أحيانا الاشمئزاز.

فمن يسـعى إلى هذا الانتقال السريع..فما أسـهل عليه من نزع جلده.. وكيانه.. وارتداء قناع آخر.. ربما أكثر جمالا.. أو أكثر اتساقا.. أو إتقانا مـع مرحلة جديدة يريد أن يعتنق مبادئها التى يرى أنها أكثر مناسـبة للارتداء فى هذا العصر.. أو هذا الزمان؟!

فلم يعد الخجل صفة يتحلى بها الكثيرون بل لم تعد موجودة.. فالأغلب والأعم يسعون حثيثا وراء تحقيق المصلحة.. والكسب السريع.. مشروعا كان أو غير مشروع..

وليس مثيرا للدهشـة أو للتسـاؤل.. أن يفقد المواطن أو الإنسان المصرى إيمانـه بصدق ما يسـمى بالأحزاب فى مصر.. فالمسـألة كلها برمتها.. سداح.. مداح!!..

والشـــكل العام للتناحر والتنافر بين هذه الأحزاب.. يمثل مشكلة صعبة تضفـــى بغضا وكراهية بين هذه الأحـــزاب وبعضها.. فهذا ينكل بهذا.. وهذا يسب هذا؟!!..

والنتيجـــة.. كما نراها الآن.. لا انتماءات حقيقية.. ولا جذور حقيقية.. ولكنـــه هوامش.. هياكل تم بناؤها فى الهواء.. فكان ســـهلا أن تطير مع ذرات التراب.. أو أضعف عاصفة تعترضها!.

وفى كتابى هذا.. أحاول أن أكون أكثر تخصيصا فى تناول قضية مهمة.. أحاول أن ألقى عليها الأضواء وأقترب منها كظاهرة ملفتة للنظر.. وأيضا للتفكير فيها.. حكاية «مليونيرات الناصرية»؟!!

ويدخل عقلى سؤال ملح: كيف أصبح صاحب المبدأ الناصرى بإيمانه الجم بحق الجميع فى رأس المال.. أن «يكوش» هو بمفرده على كل المال؟!!.. قضية عصر.. فما أكثر هؤلاء المشاهير التى أصبحت ثرواتهم ذات أحجام مهولة.. نعجز عـــن تصور مصدرها.. والرفاهية التى ينعمون بها.. تكاد تقلع العيون مـــن مقلتيها.. والقلوب من الصدور.. والآهات.. والأنات.. مـــن التوجع والألم.. فالطفرة والتفـــاوت والتباين.. أصبح واضحا وضوح الرؤية فى ضوء الشمس.. والحيرة.. والغضب تكادان تذهبان بعقول باقى ذلك الشعب الفقير؟!!

مسألة الملكية الخاصة

وعندما نتطرق إلى الناصرية كمذهب أو ما ظهر على ســـطح المجتمع من مليونيرات كانوا ينتمون فى الســـابق إلى الناصرية.. فلابد أن نتطرق

بشكل أو بآخر إلى التنويه عن هذا المذهب، ولو بشكل قد يقربنا خطوات إلى هذا المذهب أو هذا الحزب!

وسنبدأ فى حديثنا عن مسألة الملكية الخاصة.. فالأساس الاقتصادى والاجتماعى للنظام الرأسمالى.. هو الملكية الخاصة لأدوات الإنتاج.. وما يترتب على ذلك من تراكم للرأسمالية الخاصة.. إجبار العامل على بيع قوة عمله كطريق.. وحيدا فى البقاء..

والماركسية فى المقابل لا ترى حلا لمشكلة الملكية الخاصة..وآثارها الاستغلالية وإلغائها بشكل مطلق!

والتجربة الثورية الناصرية بمنطقها الواقعى والعقائدى تؤمن بأن الملكية الخاصة العامة.. إذا تكرست قاعدة مطلقة لنظام اجتماعى فإنها تصبح مصدر الشر المطلق!

والقضاء على هذا الشر يتحقق بأسلوبين رئيسيين أولهما: الاستغلال الرأسمالى الجذرى.. ثانيهما: الإبقاء على الملكية الخاصة الصغيرة غير المستغلة التى تعمل تحت قيادة القطاع العام ورقابة الشعب.

الانفتاح الاقتصادى: علاج للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية أم إجهاض لأساس الاقتصاد والاشتراكية؟

فى خضم مشاكل التنمية والتعمير التى واجهت مصر فى أعقاب معركة أكتوبر يطرح الانفتاح الاقتصادى كأسلوب لعلاج جميع المشاكل الاقتصادية وكأمان لتحقيق التنمية والتعمير المستهدفين لقيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.. برز الاتجاه لبناء الاقتصاد الوطنى الذاتى المستقل..

وكان لجوء مصر لدول أوربا ولأمريكا لتمويل المشروعات الصناعية الضخمة بدءا من السد العالى إلى مشروعات التصنيع.. وكان الرد سلسلة من الشروط السياسية الاقتصادية التى تتنافى وتحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى.. كان من الطبيعى.. والبديهى رفض هذه الشروط من جانب الثورة العربية.. وفى المقابل رفضت الولايات المتحدة والبنك الدولى ودول أوربا الغربية تمويل أى مشروعات صناعية..

على أن ذلك لم يدفع مصر للانغلاق الاقتصادى بل سعت دوليا فى سبيل توفير الأموال والخبرات اللازمة لبناء قاعدة صناعية ضخمة تحقق آمال الجماهير فى الحرية السياسية والاجتماعية.. واللجوء للدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى لتمويل هذه المشروعات.

وكان هذا التمويل فى صورة قروض، وتسهيلات ائتمانية فى صورة خبرات فنية متقدمة..

ومن هنا تحدد مفهوم الإنتاج الاقتصادى فى أن التحول الاشتراكى يحتاج وبلاحدود لجميع الأموال العربية والأجنبية فى سبيل بناء قاعدة ضخمة من الصناعات الأساسية..

وبالتالى فإنه يمكن القول إذا كان البعض يطرح الآن الانفتاح الاقتصادى لحل مشكلة التنمية والتعمير والتقدم.. فإنه ليس بالأمر الجديد أو المستحدث، حيث إنه بواسطة هذا المفهوم وعلى أساسه تم بناء القاعدة الصناعية الضخمة فى مصر بدءا من السد العالى ومجمع الحديد والصلب ومحولات الكهرباء والمصانع!.

رؤوس الأموال الأجنبية

أما الجديد فى الأمر فهو المقصود بالانفتاح فى الوقت الحالى والذى ينصرف إلى فتح المجال أمام رؤوس الأموال الأجنبية الحكومية والفردية للاستثمار فى مشروعات اقتصادية داخل مصر.. وبالتالى.. فإنه يمكن القول إن الفارق الجوهرى والأساسى فى مفهوم الانفتاح الاقتصادى السائد حاليا، والمفهوم الذى على أساسه تم بناء القاعدة الاقتصادية يتحدد فى صورة الحصول على الأموال الأجنبية!!

إذن الصورة التى كانت محددة سلفا هى الحصول على الأموال الأجنبية بأحد الأشكال والشروط التالية:

- الاستعانة بالإعانات غير المشروطة بدون حدود.
- الاستعانة بالقروض غير المشروطة على أن توجه المشروعات للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- الاستعانة برؤوس الأموال الأجنبية فى أضيق الحدود فى المشروعات التى تحتاج إلى خبرات فنية وتكنولوجيا غير متوافرة إلى أن يتم توافرها.

وبالتالى فإنه يتضح أن التركيز كان على ضرورة أن يكون التمويل الأجنبى على شكل قروض لميزات استراتيجية أهمها:

- إمكانية استثمار القروض طبقا للأولويات القديمة فى الصناعة الاستراتيجية.
- استخدام القروض الأجنبية بالشكل الذى يمكن من تطبيقه.

مفهوم الانفتاح الاقتصادى

أمـا عن المفهوم السـائد للانفتـاح الاقتصادى والـذى يعطى الحرية لاسـتثمار رؤوس الأموال الأجنبية فى مصر فإنـه يتضمن مخاطر متعددة أهمها:

- المنافسـة غير المتكافئة بين الخبرات العريقـة للصناعات الأجنبية، والصناعات الوطنية الناشئة.
- السعى للمشروعات المربحة دون النظر لاحتياجات المجتمع.

ولهـذا فإن اسـتثمار رؤوس الأمـوال الأجنبية بحجـة التنمية والتعمير مردود عليها بأن رأس المال الأجنبى يسعى للربح ولا يسعى للمشروعات الاجتماعية.

ولعل أبرز دليل على ذلك أنه ما من مشروع واحد تقدم به المال الأجنبى يهدف إلى رفع مستوى الكادحين.. أو لبناء مساكن شعبية.. بل نجد أن معظم العروض المقدمة إلينا فنادق وإسـكان فاخر ومنازل زجاجية ودور ملاهى..

التراجع عن وسـائل التحول الاشـتراكى بحجة تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية، وتمويل الهيكل الاقتصادى التجارى، ونتيجة لحرية التصدير والاسـتيراد لا تسـتطيع أية صناعات وطنية ناشـئة أن تصمد فى وجه المنافسة الأجنبية سواء كانت قطاعا عاما أو قطاعا خاصا وبالتالى يتصرف النشـاط الخاص فى الداخل على تصريف السلع الأجنبية ويقضى على الوجه المضىء للنشاط الخاص.. مما يحول الاقتصاد القومى بالتدريج إلى اقتصـاد تجارى تابع للاحتـكارات الأجنبية يمكن التأثير عليه.. وعلى الاقتصاد القومى..

وهذه هى المخاطر التى تواجه الاقتصاد الوطنى كنتيجة للسماح بحرية استثمار رؤوس الأموال الأجنبية.

انهزام.. الاشتراكية

وإذا كنا نعيش عصر انهزام الاشتراكية.. أو كما يرى البعض عصر انحسار الاشتراكية.. وانتصار الرأسمالية، فإنه يجدر بنا أن نتخلص من الفكر الاشتراكى ومنه الادعاء بأنه لا يمكن أن تثرى شريحة فى المجتمع إلا عن طريق إفقار شريحة مقابلة.. وهذا ما فهموه من مقولة لماركس فى القرن التاسع عشر عندما صور ثروة المجتمع بمائدة قمار يتبادل الجالسون عليها نفس الكمية من النقود ومن ثم ربح أحدهم.. لابد أن يكون من خسارة الآخرين.

ولكن تجربة النظام الرأسمالى أثبتت بطلان هذا التصور..وفى مصر.. فى ظل مماليك الاشتراكية أصبح أغنياء مصر أقل دخلا.. وفى نفس الوقت تدهورت أحوال الفقراء..

ومن الطبيعى أن يزداد شعور الأغلبية بحرمانها وشعورها بتميز الأغنياء فى مجتمع مفتوح تعرف فيه أحجام الثروات وأسلوب الحياة.

حياة.. المترفين

وبعد انقلاب ١٥ مايو.. أصبحت حياة المترفين معروفة ومطروحة للنقاش.. فإذا كانت لمرحلة الانفتاح سلبياتها فلها أيضا إيجابياتها ولا شك أنها أنقذت مصر من مجاعة وانهيار شامل؛ ففى أشد الدول إيمانا بحرية العمل الرأسمالى لا تترك الرأسمالية لجشعها أو أخلاقياتها

فحريــة العمل لا تعنى حرية «النصب»، والقانــون لا يحمى المغفلين.. ولكنه يطارد النصابين..

والخطأ الأساســى هو أن الديمقراطية لم تكن بالحجم الذى يكشــف كل العيوب، ويطلــق كل الآراء ويمحص كل التجارب، وأن الدول حاولت أن تبنى الاشتراكية وتربطها بالجهاز البيروقراطى والقرارات السلطوية.. كذلك أرادت أن تستمر سيطرتها على الانفتاح..

فــكان أن قامــت نفس العناصر التى حولت التجربة الناصرية إلى ســبة يتبرأ منها الاشتراكيون.. هى ذاتها التى تولت أو سارعت لتبنى النظام الرأسمالى والسيطرة عليه..

ففــى ظــل الانفتــاح الاقتصادى هــرع لصوص القطــاع العام ومرتشــو البيروقراطية لنهب الانفتاح، والســيطرة عليه، واســترعوا شركاءهم من الرأسماليــة البيروقراطية التى نمت علــى اختلاس القطاع العام فى ظل الاشتراكية فاستأنفوا المهمة باسم الانفتاح!!

طبقة جديدة

وظهرت طبقة جديدة بينها وبين اللصوص شعرة رفيعة وتعيش أساسا على اســتغلال تسهيلات الدولة.. أو المسئول المرتشى.. وتسعى لتحقيق أكبر ربح بأسهل الطرق ورجح كفتها على المنتجين الجادين والرأسمالية الشريفة فساد مناخ انعدمت فيه الثقة فى جدية المحاولة، ونوايا النظام أو التأكــد من عدوله نهائيا عن محاربــة الرأسمالية مما أدى إلى إحجام المستثمر الجاد وانعدام أو قلة المشروعات الطويلة المدى الآجلة العائد!! ونشــط الخطّــاف والنهاب.. وهكذا تحول قطاع ضخــم من موقع اللص بدرجة مدير عام اشتراكى إلى موقع النصاب الانفتاحى.

أولاد عبد الناصر

إذا عدنا إلى الوراء.. سنواجه لغزا كبيرا بشأن أبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فلم يكن الابن الأكبر خالد عبد الناصر يهتم بالسياسة وهو صغير فكان غالبا ما يدور حول المنزل متظاهرا بأنه يلقى خطابا عاما مقلدا أساليب والده الخطابية!!.

أولاد عبد الناصر هم: الدكتور خالد عبد الناصر الذى هجر شركة المنظفات الصناعية التى كان يمتلكها زوج عمته وتفرغ لعمله كأستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة، وسبق أن استعانت الهيئة القومية للأنفاق بخبرته باعتباره الوحيد المتخصص فى هذا المجال.

حصل على الدكتوراه سنة ١٩٧٩م بالكلية الملكية للعلوم والتكنولوجيا «امبريال كمبريدج». ويبدو أن أزمة مكتومة اعترت العلاقة بين خالد عبد الناصر وإخوته بسبب اشتراكه فى قضية «ثورة مصر»..

وقد لوحظ ذلك بوضوح عندما امتنع الشقيق الأصغر عبد الحكيم عن حضور الجلسات، بينما حضر بعضها فقط الشقيق الأوسط عبد الحميد.

سلم لى على الاشتراكية!

نشر بجريدة الوفد فى العدد الصادر بتاريخ ٤ مارس ١٩٨٣م مقال تحت عنوان «سلم لى على الاشتراكية».. ابن زعيم الاشتراكية الراحل يقوم بتصفية أعماله فى مصر استعدادا للعمل فى أسبانيا مع الطفل المعجزة «أشرف مروان» زوج شقيقته، حيث باع ابن زعيم الاشتراكية قطعة

أرض فى الغردقة تبلغ مساحتها ٣١٢٠ مترا مربعا.. ويصل سعر المتر إلى ٣٢٧٥ جنيها.. ويقال إن صاحب برج شهير فى الزمالك اشترى الأرض كما عرضها ابن الزعيم.

أما عبد الحميد وهو النجل الثانى للرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فقد تخرج فى الكلية البحرية بالإسكندرية وتردد أن السادات أبعده عن القوات المسلحة لأسباب غير مفهومة.. وألحقه بالعمل بوزارة الخارجية.. ثم أبعده عن مصر نهائيا وألحقه بالعمل فى سفارة مصر بلندن ثم أعير للهيئة العربية للتصنيع فى لندن!!

وأصدر السادات أمرا بإنهاء إعارة الذين يعملون فى مكاتب الهيئة من المصريين بالخارج، ولم يطبق القرار سوى على عبد الحميد الذى استقر به المقام منذ ذلك الحين فى شركة المقاولات التى يمتلكها عبد الحكيم!!

أما عبد الحكيم الابن الثالث فقد تخرج فى كلية الهندسة وأسس مع إخوته شركة توصية بسيطة بدأت عملها فى مجال المقاولات.. كان رأس مالها فى البداية ٢٠ ألف جنيه.. والآن تحولت إلى إحدى الشركات الكبرى فى مجال المقاولات.. وتسند إليها مشروعات كبيرة فى الداخل والخارج..

ويعتبر عبد الحكيم العقل المدبر للشركة، ويعرف عنه كرهه للسياسة.. وعشقه لعالم المال والأعمال والبيزنس!!

وبنات الرئيس عبد الناصر الدكتورة هدى التى تزوجت من زميلها فى الكلية حاتم صادق والذى شغل منصب مدير بنك خاص بشارع سليمان الحلبى بالقاهرة، واستقر المقام بهدى كأستاذة بجامعة القاهرة بعد أن

حصلت علـى درجة الدكتوراه فى «الرؤيـة البريطانية للحركة الوطنية المصرية».

أما السـيدة منى.. فلم يكن مجموعها فى القانـون يؤهلها من الالتحاق بالجامعات.. فالتحقت بالجامعة الأمريكية التى لم تكن تشترط فى ذلك الوقت مجموعا معينا.. وتزوجت من أشرف مروان!!

تأييد حبس عبد الحكيم

وتحت عنوان «تأييد حبس عبد الحكيم عبد الناصر ١٢ سنة لإصداره شـيكات بدون رصيد»!!.. نشـر هذا الخبر فى العـدد الصادر بتاريخ ١٠ مارس ٢٠٠٢م بجريدة الوفد.. والذى تتناول تفاصيله الآتى: (أيدت محكمة جنح مسـتأنف مصر الجديدة الحكم الصادر بحبس عبد الحكيم جمـال عبد الناصـر لمدة ١٢ سـنة وتغريمه ٨٠ ألف جنيـه لإصداره ٤ شـيكات بدون رصيد لبنك القاهرة بقيمة ١٠ ملايين جنيه و ٧٥٠ ألف جنيه).

وكان عبد الحكيم قد حصل على قرض من البنك.. وتعذر عليه سـداده فأحيلت الشـيكات إلى محكمة الجنح.. فأصدرت حكمها.. الذى أيدته محكمة جنح مستأنف مصر الجديدة.

❑❑❑

الشخصية الأولى

المليونير.. محمد فريد حسنين

تحركات هذا النائب البرلمانى محمد فريد حسنين تؤكد أنه شخص يميل إلى المظهرية، وأقواله تبين أنه يعانى من اضطراب سياسى وحزبى؛ فهو حريص على أن يغير الحزب الذى ينتمى إليه كل سنة وكأنه يغير قميصا أو بدلة!!

عندما دخل محمد فريد حسنين مجلس الشعب كنائب جديد عن حزب الوفد على غير المألوف.. كان يرتدى الجلباب البلدى.. وفضل الجلوس على الأرض.. برغم أنه درس الهندسة فى أوربا وثقافته بعيدة كل البعد عن ذلك الذى يريد أن يوحى به.

الرومانسية السياسية

فهل يمثل محمد فريد حسنين حالة من الرومانسية، خاصة أنه كما يقول يتعامل مع السياسة بأسلوب «استفت قلبك.. ولا تفكر كثيرا فيما سوف يقولون عنك»؟.. أم أنه يعانى من اضطراب سياسى وحزبى؟. فهو يتخبط فى الانتماء ما بين اليمين واليسار، خاصة أنه شارك فى تأسيس الحزب الناصرى.. ثم تركه.. وانتقل إلى حزب العمل.. يغازل الإخوان ثم يترك الحياة الحزبية ليعيش مستقلا ردحا من الزمن.. وفجأة يقرر الانضمام إلى حزب الوفد ليصبح عضوا فى مجلس الشعب تحت عباءة حزب الوفد..

فصله.. من حزب الوفد

ما هى حكاية فصله من حزب الوفد؟

عندما طرح عليه هذا التساؤل.. تعددت المفاجآت التى انطوت عليها إجابته عن السؤال، فقال إنه يفكر فى الانضمام للحزب الوطنى وفى نفس الوقت يسعى لإنشاء حزب جديد سوف يسميه «الجبهة الوطنية». وفى نفس الوقت كان ينتظر قرار عفو وعطف من الدكتور نعمان جمعة ليعود إلى أحضان الوفد! !

وعن تصرفاته وسلوكه اللذين يحملان الكثير من الغرابة.. طرح هذا السؤال فى نفس الحوار الذى نشر بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٢١م بمجلة آخر ساعة.. هل تصرفاتك وسلوكك طبيعية من وجهة نظرك؟ أم خروج عن المألوف؟ فأجاب.. المجتمع فى مصر اعتاد منذ ٥٠ عاما أن يسمى الصراحة والشجاعة تطاولا وخروجا على اللباقة.. فأنا سافرت لأوربا للدراسة وعمرى ١٧ عاما.. وشركائى فى العمل «ألمان».. وزوجتى نمساوية.. وثقافتى تحمل كثيرا من روح الغرب.

استفت.. قلبك

إذن سلوكى قد يسميه البعض خروجا على المألوف.. وهذا قدرى وشخصيتى.. لقد قدت مظاهرات طلابية عام ١٩٦٨م فى ٢٤ فبراير، واقتحمت مجلس الشعب.. وكان الرئيس السادات رئيسا للمجلس فى ذلك الوقت.. وأحضر لى ميكرفونا خطبت فيه من نافذة غرفته.. وهى نفس غرفة مكتب الدكتور فتحى سرور الآن.. واختلفت مع الرئيس

جمـال عبد الناصر.. وأنا أتحمل مسـؤولية أفعـالى.. وأدخل إلى العمل السياسـى تحت شعار «اسـتفت قلبك وتوكل على الله.. ولا تفكر كثيرا فيما سيقولونه عنك».

ويستكمل محمد فريد حسنين تبريراته لسلوكياته الغريبة قائلا: «أنا ضد الأنماط القديمة.. وإن كنت أعترف أننى لا أملك نواصى الحقيقة دائما.. ومستعد لمراجعة تصرفاتى».

بدون مقدمات

ولكن ما هى حكاية هذا النائب المتقلب.. المتغير المتبدل والذى ينتقل بسرعة الصاروخ من حزب إلى آخر؟

فجـأة بدون مقدمـات انضم النائـب محمد فريد حسـنين إلى الحزب الوطنـى، وهو الذى كان عضوا فـى حزب الوفد، ثم انضم لحزب مصر العربـى.. وبـدون نفس المقدمات أيضا قام النائب محمد فريد حسـنين بمهاجمة أمين الحزب الوطنى يوسـف والى والأمين العام المساعد كمال الشاذلى فى إحدى الصحف.. ثم قام مع أول جلسة لاجتماعات مجلس الشـعب ليصحح ما قاله فى الجريدة.. فقال: «إنه يعتز بالدكتور والى.. وله معه علاقات أسـرية منذ ٤٠ سنة. كما قال إنه يعتز بالشاذلى حيث جمعتهما الأيام بعد نكسة عام ١٩٦٧م عندما كان هو طالبا والشاذلى أمينا لمحافظة المنوفية»!!

برغم أنف السياسيين

واعتـبر المجلس وأعضاؤه أن هذا الموقف هو الموقف النهائى للنائب محمد فريد حسـنين، إلا إنه وبعد يوم واحد مما قاله تحت قبة البرلمان

أصدر بيانا لأعضاء مجلس الشعب قال فيه: «إنه لم يفاجأ بما نشر فى إحدى الصحف من أن الحزب الوطنى قد رفض انضمامه إليه، وقال إن السبب فى ذلك أن الذين خربوا الحياة السياسية وحصل مرشحوهم على ٣٧٪ من أصوات الشعب وسقط نجم من انشق عليهم من أبناء حزبهم.. الذين رشحوا أنفسهم كمستقلين.. لا يريدون للمخلصين أن يقتربوا من رئاسة الحزب».

وقال: إن الهدف الذى سعى من ورائه للانضمام للحزب هو رؤيته من أجل الإصلاح الحزبى والتى حددها فى ست خطوات.. تبدأ من إقناع الجماهير ثم التصدى لمحاولات الاستغلال ثم استنباط أساليب جديدة لتوظيف الطاقات.. وأخيرا دفع القيادات الشابة إلى مواقع المسؤولية!!

ثم عاد محمد فريد حسنين من جديد ليؤكد فى بيان طبعه لتوزيعه على أعضاء المجلس، بأنه سيدخل الحزب رغم أنف السياسيين!!

نائب ينضم إلى حزب الوفد من الباطن

قرر فجأة النائب محمد فريد حسنين الانضمام إلى حزب الوفد من الباطن بعد أن تم فصله منه فيما سبق، وذلك دون أن يتقدم بطلب جديد لانضمامه.

وقد أكد محمد فريد حسنين أنه سيعمل كوفدى بعد أن اكتشف أن حزب الوفد وتوجهاته أقرب إلى الليبرالية ورجال الأعمال الذين يمثلهم، كما أن بقية الأحزاب الأخرى سواء التجمع أو الناصرى أو الإخوان متشنجون بشكل غريب!!..

وقال محمد فريد حسنين إن موقفه هذا جاء عقب أن شارك فى عدد من الندوات التى أقامها الحزب، كما أنه أبلغ رئيس الحزب «نعمان جمعة» بأنه جاهز للعودة إلى الحزب.. وأوضح حسنين أنه لم يعد عضوا فى الحزب الوطنى الذى سبق وأن تقدم بطلب للانضمام إليه ولكن الحزب رفض عضويته.. وقال حسنين إنه سيقوم باستجواب ضد الحكومة الحالية مطالبا تنفيذه بالكامل، وسيطرح من خلال استجوابه ضد الحكومة عدم مناقشة بيان الحكومة فى الجلسات القادمة لأنه سيكون مضيعة للوقت.

وأشار إلى أن المستندات التى سيقدمها لدعم استجوابه هى أن بيان الحكومة خالف ما جاء فى بيان رئيس الجمهورية، وبالتالى فقدت الحكومة شرعية وجودها.

القنفذ

ومازال فريد لا يجد غضاضة فى الانضمام إلى أكثر من حزب حتى إن الدكتور فتحى سرور رئيس مجلس الشعب الأسبق وصفه فى آخر لقاء بينهما كما قال النائب «بالقنفذ» يجب أن يترك بمفرده.. وإلا أصاب من حوله بالأشواك.

نائب.. تائه

وكان النائب محمد فريد حسنين تائها.. ما بين الحزب الوطنى والناصرى.. وقد عقد النائب أيمن نور ومحمد فريد حسنين أكثر من اجتماع مع رئيس حزب مصر وقتها جمال ربيع للاتفاق على الخطوات التى

سيتقدمون بها ضد قرار لجنة شؤون الأحزاب السياسية.. بعدم الاعتداد بأى من المتنازعين على رئاسة الحزب..
وقد أرسل النائبان مذكرة إلى رئيس اللجنة لمعرفة الأسباب والمبررات التى تم على أساسها اتخاذ هذا القرار..

قرار غريب للنائب.. سأكون رئيسا للجمهورية

فى أواخر شهر مارس ٢٠٠٤م.. شهدت قاعة مجلس الشعب موقفا مثيرا للدهشة والعجب.. فقد قام النائب محمد فريد حسنين بتقديم استقالته أمام مجلس الشعب مبررا ذلك فى طلبه المقدم إلى رئيس المجلس بأنه غير مقتنع بما يقدمه داخل المجلس.. فهو لا يخدم الناس بشكل حقيقى.. وهو غير مقتنع بنظام الحكومة القائم.. وتم بالفعل قبول استقالته من قبل المجلس..ثم قام يوم ١٢ إبريل ٢٠٠٤م بعقد مؤتمر صحفى فى منطقة باب الشعرية مشاركة مع النائب أيمن نور فجر فيه مفاجأة كبرى،وهى ترشيح نفسه كرئيس للجمهورية أسوة بمن يرشحون أنفسهم وأعلن عن برنامجه الانتخابى.. وأعلن عن ذلك وعن استقالته بإحدى القنوات العربية وكان حريصا كل الحرص على إظهار تمسكه وإصراراه على القرارات التى اتخذها!!

زعيم.. فى الحركة الطلابية

عندما كان محمد فريد حسنين طالبا فى الستينيات بكلية الهندسة عام ١٩٦٦م، قام بالدور الرئيسى والأساسى فى الحركة الطلابية فى مظاهرات فبراير سنة ١٩٦٨م، وكان له الدور الرئيسى فى هذه

المظاهرات عندما دعا إلى الاحتفال بذكرى ٢١ يناير.. وتناهى إلى سمعه.. قيام عمال مصانع حلوان بالمظاهرات.. وضربهم بالنار.. فقام بالتظاهر معهم والانضمام إليهم..

وتم فصله من منظمة الشباب التى كان عضوا فيها لموقفه هذا فى المظاهرات..

ولأنه شخصية ليبرالية تؤمن بالحرية المطلقة.. فقام بمهاجمة النظام القائم فى ذلك الوقت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م.

ثم سافر إلى النمسا فى منحة دراسية لاستكمال دراسته.. وبعد تخرجه تزوج بسيدة نمساوية.

كانت أسرة النائب محمد فريد حسنين فى بداية حياته تملك مصنعا لصناعة الطلمبات الخاصة بالمياه.. بالاشتراك مع شركة إنجليزية تسمى «وايلر»، وعندما عاد من النمسا بعد الانتهاء من دراسته استكمل مسيرته فى العمل مع أسرته فى نفس النشاط الذى تمارسه..

ثم بدأ يعود إلى العمل الاجتماعى.. فكان يقوم بعمل الصالونات الثقافية التى يدعو من خلالها إلى تشجيع الصناعة الوطنية!!

وكان أول ظهور له على الساحة السياسية.. وقت إعلان الحزب الناصرى.. الذى انتمى له على الفور.. ثم انتقل إلى حزب العمل.. ثم حزب الوفد ثم قدم أوراقه إلى الحزب الوطنى الذى رفضه.. وهكذا..

شخصية محمد فريد حسنين.. من الشخصيات التى تحمل فى طياتها كل المتناقضات.. هل بالفعل يعبر عن آراء الجماهير.. ويدافع باستماتة عن مصالحهم كما يحاول التظاهر؟ أم أن المسألة برمتها تستهويه..

والشـهرة أيا كان شـكلها تجذبه نحوها بعنف؟ ويفعل من أجل تحقيق هذه الشهرة الكثير من الأفعال الملفتة للنظر.. فهو شخصية بحق تحتاج إلى تحليل.. وتدقيق.. فهو لم يترك مجالا يحقق له الشهرة ولفت النظر إلا وقام بكل ما يجب أن يفعله من أجل ذلك..

وكانـت تطالعنا الصحف بين الحين والآخر.. بالكثير من الأفعال المثيرة للتساؤل.. وأيضا للدهشة..

فقـد طالعتنا جريدة الأخبار بتاريخ ٢١ مارس ٢٠٠٢م بقيام محمد فريد حسـنين عضو مجلـس الشـعب و ٢٨ آخرين من المتهمين بالاشـتراك بالتجمهـر والشـغب.. خلال المسـيرات التى شـهدتها القاهرة تعبيرا عن مشـاعر الجماهير مع الشـعب العراقى فى المحـن التى يمر بها.. وقد وافق النائب العام على إخلاء سبيل كل من حمدين صباحى ومحمد فريد حسنين وباقى المتهمين.. لأن حرية التعبير عن الرأى مكفولة بشكل حضـارى للجميـع وفى حدود القانون، وذلك بعـد أن كانت نيابة أمن الدولة العليا بإشراف المستشار هشام بدوى المحامى العام قد وجهت إلى صباحى وحسنين تهمة الاشتراك فى التجمهر والتحريض على التخريب فى الممتلكات العامة.. وأمرت بحبسهم ١٥ يوما على ذمة التحقيقات!

توزيع المنشورات داخل المجلس

كما فوجئنا بعنوان ينشر بجريدة أخبار اليوم تفصيله كالآتى: «إحالة محمد فريد حسـنين إلى لجنة القيم بمجلس الشعب بسبب المنشورات.. أرسـل الدكتور فتحى سـرور رئيس مجلس الشـعب خطاب اسـتدعاء

للنائب محمد فريد حسنين للتحقيق معه في واقعة توزيع منشورات داخل المجلس ضد كل من رئيس المجلس ورئيس لجنة الصناعة».

الأسباب

وعقب الانتهاء من سماع أقوال النائب والأسباب التى دفعته إلى فعل ذلك تم إرسال ما تم بين هيئة المجلس والنائب إلى لجنة القيم لعدم التزامه بالطرق الشرعية المتاحة له كعضو في المجلس لإبداء رأيه في موضوع من الموضوعات ولجوئه للمرة الثانية خلال الدورة الحالية «لاستخدام نظام المنشورات» داخل المجلس، حيث سبق أن أرسل من قبل منشورات ضد آخرين!!.. عقب نظر إبطال عضوية أحد أعضاء المجلس، وقال إنه قام بإبلاغه إلى وكالات وإذاعات أجنبية مخالفا بذلك كل القواعد البرلمانية المتاحة له للتعبير عن رأيه.. وقد اعتبر مسئولو المجلس هذه المرة أن المنشورات فيها مساس بهم.. وتحريض من جانب النائب ضدهم؛ وهو ما دفعهم إلى اللجوء إلى اللائحة مستخدمين النصوص التى تتيح اعتبار النائب مخالفا.. أو متجاوزا لعضويته كنائب في البرلمان، وتتيح أيضا معاقبته بحرمانه من حضور عدد من جلسات المجلس الذى سيخضع لرؤية أعضاء لجنة القيم.. والتى بيدها أن تحرمه حتى نهاية الدورة الحالية..

اعتصام

ولم يكن توزيع المنشورات هو التصرف الأول للنائب محمد فريد حسنين.. فقد سبق أن اعتصم عدة أيام داخل المجلس لاعتراضه على إلقاء القبض على عدد من أبناء دائرته أثبتت وزارة الداخلية أن عليهم

أحكامـا.. كما أن النائب حسـنين لم يترك أى مظاهـرة إلا وكان أحد المشـاركين بها.. وهو التصرف الذى رأى البعض من مسـئولى المجلس أنه يسـىء لكل المجلس، خاصة إذا ما تعرض النائب لموقف خارج عن إرادته.

اعتزال جلسات المجلس

ولم يتوقف النائب محمد فريد حسنين عن الإتيان بكل ما هو غريب ومثير.. فقد أرسـل لرئيس مجلس الشعب الدكتور فتحى سرور بخطاب يعتذر فيه عن حضور كل جلسات المجلس.. والتى سيتم خلالها مناقشة قانـون الملكيـة الفكرية.. لأن أهالى دائرته أشـاروا عليـه بذلك وأبلغوه أن هناك ما هو أهم من هذا القانون يخص الشعب ويتلهف على مناقشته داخل المجلس.

ممارسة السياسة من منبر البيزنس

المتطلع إلى سـلوك وتصرفات وتوجهات المليونير محمد فريد حسنين يعلم علم اليقين أن هذا الرجل لا يستطيع أن يعطى نفسه لشىء واحد.. فهو يجب أن يجمع كل الخيوط بين أصابعه يغزلها كما يريد.. وبالشكل الذى يريد.. هل هذا هو الطموح القاتل؟!!..

فمنذ حركة مايو كان محمد فريد حسنين من بين الذين جمعتهم السجون من مجموعة مايو.. ثم فرقتهم السبل والسنون والموت أحيانا..

كان الفـراق بين مجموعة مايو.. فرحل من رحل دون ضجة.. وبقى من بقى!!..

وكان المليونير محمد فريد حسنين صاحب مصانع «وايلر» من بينهم!!
من خندق المعارضة.. ولم يغادره.. فجمع بعد خروجه من السجن بين أعماله الخاصة.. وإدارة مصانعه.. وبين ممارسة السياسة من منابر المعارضة.. شارك أستاذه فريد عبد الكريم تأسيس الحزب الاشتراكى الناصرى فى أوائل الثمانينيات.. وظل ملازما لفريد عبد الكريم فى كل خلافاته مع جيل الشباب الذى انضم إلى هذا الحزب وكان دائم الصراع مع عبد الكريم على قيادة الحزب إلى أن صدر الحزب الديمقراطى أو الناصرى.. وتولى رئاسته ضياء الدين داوود.

❑❑❑

الشخصية الثانية
أشرف مروان.. الطفل المعجزة

أشرف مروان.. الذى منحه الصحفى الكبير عملاق الصحافة على أمين لقب الطفل المعجزة.. ما هى قصة صعوده وانهياره؟

هـو من أولاد الذوات.. كان عضوا بنادى هليوبوليس.. تعرف على منى كريمـة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عن طريق شـقيقته عزة التى كانت زميلة لها بالجامعة الأمريكية.. شكل مع السيدة جيهان السادات ومنصور حسن ثالوثا قويا فى مطبخ الرئاسة.

صديق سـعود الفيصل وكمال أدهم وعبد السـلام جلود.. أدرك أن أقصر طريق للسادات هو رأس سامى شرف فسلمها له على طبق من ذهب!!

وتفاصيل الحكاية تبدأ من حصول أشـرف مروان على بكالوريوس العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٦٥م قسـم كيميـاء بدرجة جيد جدا.. كلف بعد تخرجـه بالعمل بالمعامل المركزية بالقوات المسـلحة.. وكان والده برتبة عميد ويعمل فى فرع الإمدادات والتموين بالمنطقة المركزية ثم مديرا لإدارة التعيينات بالقوات المسلحة إلى أن أُحيل إلى المعاش وعين رئيسا لمجلس إدارة شـركة الأسواق الحرة.. سجل رسالة الدكتوراه بكلية العلوم تحت إشـراف الدكتور أحمد مصطفى رئيس قسم الكيمياء الذى عين فيما بعد وزيرا للبحث العلمى.

كان شابا وسيما.. يتردد على نادى هليوبوليس أثناء دراسته الجامعية.. وعرف عنه اختلاطه بالطلبة والطالبات.. تعرف على منى عبد الناصر عن طريق شقيقته وكان يذهب إليها كثيرا فى الجامعة الأمريكية.. ويبدو على منى مظهر أولاد الذوات!!..

والدته من عائلة فايد ببلدة صان الحجر.. مركز بسيون غربية..

بعد زواجه من منى عبد الناصر عين برئاسة الجمهورية حتى وصل إلى منصب سكرتير مساعد للمعلومات مساعدا لسامى شرف حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر.. وقيل إنه كان يرتعش إذا ما وقف أمام عبد الناصر.. ولا يستطيع أن يتحدث إليه دون أن يتلعثم.. خاصة وأن لسانه ثقيل بالخلقة..

هو الذى حمل الاستقالات الجماعية لمجموعة ١٥ مايو إلى السادات فى منزله.. وكافأه السادات وعينه سكرتيرا للمعلومات بدلا من سامى شرف.. وبعد فترة أخذ نفوذه يتزايد بدرجة سريعة.

مات الملك.. عاش الملك

لم يضيع أشرف مروان وقته ليلة ١٤ مايو ١٩٧٦م.. ورفع الشعار الذهبى «مات الملك.. عاش الملك» والملك هنا لم يعد جمال عبد الناصر والد زوجته السيدة منى.. وإنما أصبح الرئيس السادات..

ويبدو أن أشرف مروان وجد أن أقصر طريق للوصول للسادات هو رأس سامى شرف فسلمها له دون تردد.

وجاءته الفرصة على طبق من ذهب.. عندما شاهد سكرتير سامى شرف

وكان يدعى محمد سعيد يحمل محتويات الخزانة الخاصة لسامى فى سيارة «ستيشن» ليخفيها فى مكان مجهول.. فأطلق الرصاص على الإطارات وحمل الكنز إلى بيت السادات فى الجيزة.. وكان صيدا ثمينا.. كل أسرار التنظيم الطليعى وتنظيم رجال القضاء والحسابات الخارجية والمصروفات الخاصة شرائط وتسجيلات لكل الأسرار الخاصة بالدولة وبعبد الناصر.. وجدها السادات تهبط عليه.. فكان يقول الرئيس أنور السادات دائما: أشرف «نور طريقى» ونعتبره بطلا قوميا وزعيما وطنيا.

الطفل المعجزة

أول من أطلق لقب «الطفل المعجزة» على أشرف مروان كان عملاق الصحافة المصرية على أمين رئيس تحرير أخبار اليوم فى ذلك الوقت.. وكان السبب لهذه التسمية هو قفزاته السريعة فى جهاز الرئاسة فى أعقاب تعيينه سكرتيرا للرئيس للمعلومات.

والسبب الثانى.. هو العداء الشديد الذى كان رجال السادات يحملونه لكل ما هو ناصرى.

لم ينس أشرف مروان ذلك للأخوين على ومصطفى أمين وظل يحرض الرئيس السادات ضدهما حتى اقتنع أنهما عبء عليه..

أما الساداتيون فلم ينسوا أن أشرف مروان هو زوج بنت عبد الناصر.. وكان الذراع اليمنى لسامى شرف.. وظل أشرف موضع شبهات من الناصريين والساداتيين معا.

حاول أشرف مروان أن يكون سامى شرف الجديد طبق الأصل منه..

ووجـد دعما وتأييدا كاملا من السـيدة جيهان التى توطدت علاقتها به كثيرا.. وكان يشـكل معها بالإضافة إلى منصور حسن ثالوثا مؤثرا داخل مطبخ الرئاسـة.. ولم تنقطع علاقة أشرف والسيدة جيهان السادات بعد اغتيال السادات وكان يستقبلها فى جناحه الخاص المحجوز باسمه فى فندق جورج الخامس فى باريس.. ويحضر كل طلباتها من الخارج..

لم يسـمح أشـرف مروان لأحد أن يقف أمامه!!.. فقام بالاشـتراك مع السـيدة جيهان وفوزى عبد الحافظ سـكرتير السـادات فى إفساد زواج الشـاب اللامع فى ذلك الوقت أحمد المسيرى من لبنى السادات انتقاما منه!!..

وكان المسـيرى يعمل فى مكتب السادات وذا شخصية قوية بارزة وأراد تنظيـم العمـل والخروج من دائرة نفوذ أشـرف.. إلا أن أشـرف مروان اسـتطاع تأليب السـيدة جيهان عليه والتى أرسـلت إليه برفض ابنتها الارتباط به وأكدت للدكتور محمود جامع أن يقول له.. «سـيبها بالذوق أحسـن».. وفسخت الخطبة.. وأبعد المسـيرى من بيت السادات حتى لا يكون عقبة فى طريق أشرف مروان.. وأسند السادات للمسيرى وظيفة سكرتير الرئيس للشؤون العربية.. وجعل مقره عابدين..

ولكن أشرف لم يتركه.. فقد أرسل السادات المسيرى إلى اليمن فى مهمة خاصة..

وقدم المسيرى تقريرا للسادات يوضح عدم التورط فى أية أعمال انقلابية.. ويقول الدكتور محمود جامع «الرجل الغامض فى كواليس السـادات»: فوجئت ببعـض القيادات من اليمن حضروا إلى منـزلى بطنطا وأبلغونى

أنهم فشلوا فى مقابلة السادات وأن أشرف مروان نصحهم بألا يثقوا فى المسيرى وأكد لهم أنه مجرد مبعوث شكلى من السادات.. وعندما علم السادات بهذه الواقعة غضب غضبا شديدا من أشرف.. لكنه لم يستطع حماية المسيرى.. وانتهى الأمر بنقله إلى وزارة الخارجية وترك منصبه تماما بالرئاسة!!

لحساب من.. يعمل؟

ظل اسم أشرف مروان يطفو بين الحين والآخر إلى السطح وغالبا ما يكون مرتبطا بالنظام الليبى والعقيد القذافى.. وكذلك ظل اسم نسيب عبد الناصر يتردد مرتبطا بالصفقات التجارية وبصفقات من نوع آخر باحثا عن دور سياسى من خلال علاقته الحميمة مع الرائد جلود وأحمد قذاف الدم.

ما الذى كان يريده أشرف مروان بالضبط؟ وإلى ماذا كان يهدف من وراء ألاعيبه الملتوية التى يدور نسيجها ما بين لندن وطرابلس؟

وماذا كان يريد مثلا من توريط خالد عبد الناصر فى تصرفات غير مسؤولة؟

وماذا كان يريد من الزج باسم عبد الناصر فى مزايدات القذافى ضد مصر.. وفى تطاوله على رئيسها وشعبها فى ذلك الوقت؟

ظلت تصرفات أشرف مروان فى الآونة الأخيرة من عام ١٩٨٨م تبعث على الريبة.. وتثير الشكوك فى نواياه وفى حقيقة دوره.. وتدفع للتساؤل لحساب من كان يعمل؟ ولحساب من كان يستغل اسم عبد الناصر؟

فمن الواضح.. وحسب المعلومات المتوافرة أنه قام بزج اسم خالد عبد الناصر فى الزيارة التى قام بها إلى ليبيا للاشتراك فى ذكرى وفاة والده الرئيس الراحل وهو الذى قام بتحضير الرحلة وصاحبه فيها وكان يجلس بجواره فى الاحتفال الذى ينظمه القذافى كل عام ويجد فيه متنفسا للمزايدة على مصر والتهجم على رئيسها وشعبها فى ذلك الوقت!!

خلاف بين أسرة عبد الناصر.. وأشرف

وكما يبدو وقع خلاف بين أسرة عبد الناصر وبين أشرف مروان زوج منى ابنة عبد الناصر.. بسبب تحريضه لخالد للقيام بمثل هذه التصرفات.. وقبوله دعوة القذافى وتوريطه له فى تلك الزيارة التى تسىء إلى اسم عبد الناصر!!..

ووصل الخلاف إلى حد أن أسرة الرئيس الراحل منعوا زوج ابنتهم من حضور ذكرى وفاة عبد الناصر فى ضريحه فى القاهرة.. والتى حضرها عبد الحميد جمال عبد الناصر وحاتم صادق.. وباقى أفراد الأسرة تعبيرا عن الغضب من تصرفات أشرف مروان.. ومن الدور المشبوه الذى كان يمارسه فى الخفاء بعلاقته الخاصة مع النظام الليبى.. كيف رضى أشرف مروان أن يدفع بخالد عبد الناصر فى مثل هذه اللعبة المزدوجة مع القذافى الذى كان يشتم مصر فى كل مناسبة.. ويصف شعبها بأحط العبارات وألفاظ السباب؟

صفقات الأسلحة

كيف رضى أشـرف مروان لنفسـه أن يمد يده إلى العقيد الذى يمزق وشائج الأخوة والقرب بين الشعب المصرى والليبى.. الذى يضمر الكراهية لمصر وما ترك مناسـبة إلا وطعن فيها الشعب المصرى فى ظهره.. حتى فى أدق الأوقات!!.

فقد نشرت صحيفة العرب الليبية التى تصدر فى لندن وصاحبها أحمد الهونى فى عددها الصادر فى ٣٠ سـبتمبر عام ١٩٨٨م بالصفحة الأولى تحقيقا من طرابلس عن المهرجان الخطابى الذى أقيم بمناسبة الذكرى الثامنـة عشـر لرحيل عبد الناصـر حضره خالد عبد الناصر وأشـرف مروان..

والغريب حقا أن السيد مروان كان شاهدا بنفسه على ما فعله القذافى فى حرب أكتوبر وعلى تقلبه ضد مصر فى ذروة المعارك وقت الثغرة.. وكيف طلب سـحب أسراب الطائرات الليبية التى أرسلها بدون معدات وقطع غيار وبقيت رابضة على الأرض ولم تشارك فى العمليات؟ وكيف أوقف شـحنات البترول من ليبيا؟.. وكيف أطلق حملة التشـهير ضد الجيش المصرى؟..

وكيف حاول إثارة التشـكيك وإشـاعة الإحباط بعد أن تأكد له الانتصار المصرى ومعجزة العبور إلى سيناء؟

كان أشرف مروان شاهدا على موقف القذافى خلال تلك الأيام الحاسمة والمصيرية.. وكان مطلعا بحكم موقعه وقتها سكرتيرا للمعلومات للرئيس السـادات علـى مجريات الأمور وتقلبـات القذافى التـى أدت إلى تأزم العلاقات المصرية الليبية..

وبرغم ذلك لم تنقطع صلة أشـرف مروان مع النظام الليبى وظل حريصا على علاقته الحميمة مع الرائد عبد السلام جلود الرجل الثانى فى ليبيا بحكم المصالح المشتركة بينهما فى الاستثمارات.. والصفقات!!

وليس خافيا.. أن النشـاط المشـترك ما بين مروان وجلود.. امتد لما بعد حرب أكتوبر.. وتردد أنهما شريكان فى عدة توكيلات فى ليبيا..!

وقيل أيضا إنهما كانا شريكين فى عمولات صفقات للسلاح تقدر بملايين الدولارات.. وقد تضخمت ثروتهما وأعمالهما بعد ذلك فى بريطانيا..

واسـتمرت العلاقة بين جلود ومروان بعد ذلك برغم القطيعة والفتور فى العلاقات المصرية الليبية بسـبب تصرفات القذافى.. وتدخل فيها أحمد قذاف الدم مسـؤول المخابرات الليبيـة ومبعوث القذافى فى ذلك الوقت الذى كان يحمل رسالته إلى القاهرة بين الحين والآخر!!..

وتوطدت العلاقة بين أشـرف مروان وقذاف الدم وكانت اللقاءات بينهما تتم ما بين لندن وماربيا «مصيف الأثرياء» فى أسبانيا.. حيث كان يملك أشرف مروان فندقا هناك..

وامتدت العلاقة إلى النشاط السياسى غير المعلن حيث كان مروان يحاول أن يلعب دورا يقول على حد زعمه بإصلاح العلاقات بين مصر وليبيا.. وكان من الممكن تقبل هذا الدور لو أنه كان مخلصا!

قميص الناصرية.. وطموحات بلا حدود

ما نعلمه أن طموحات أشـرف مروان كانت بـلا حدود!!.. حينما كان يرتدى قميص الناصرية.. كان يمارس نشـاطا ماليا واسعا من خلال الاسـتثمارات والصفقات ويدخل فى مضاربـات بالملايين.. كانت مثار

البحث والاهتمام فى بريطانيا.. وليست قصة الصراع الذى نشب بينه وبين الأخوة فايد على أسهم محلات «هارودز» الشهيرة فى لندن بعيدة عن الأذهان!..

وكما يبدو فإنه يراهن على امتلاك قوة المال لكى تكون مدخلا لدور سياسى.. وهو يستغل قرابته لعبد الناصر بالمصاهرة ويوظفها فى هذا الاتجاه!!..

البركة.. فى الاشتراكية

ولم تقف ثروة أشرف مروان عند حد.. فقد نشرت جريدة الأخبار خبرا فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٤/٨/١٩م تقول تفاصيله: أشرف مروان يشترى أسهما قيمتها ١١ مليون جنيه من دار صحفية بريطانية!!. وأن الدكتور أشرف مروان زوج ابنة الرئيس الراحل عبد الناصر اشترى ٥٪ من أسهم دار «فليت هولدنجز» للنشر التى تصدر عن صحف «ديلى اكسبريس» و«صنداى اكسبريس» و «ديلى ستار»..

ومما يذكر أن «دار فليت هولدنجز» واحدة من كبرى مجموعات الصحف فى بريطانيا.

أغنى مليونير

كما نشر فى جريدة الوفد فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٥م مقال يقول «إن الطفل المعجزة أشرف مروان أغنى مليونير مصرى نقل نشاطه من لندن إلى الولايات المتحدة للتخلص من مشاكل وملاحقات ومطاردات الضرائب الإنجليزية..

الطفل المعجزة دفع ١٨٠ ألف جنيه استرلينى فى آخر جلسة له حول المنضدة الخضراء بكازينو كليبر مونت بلندن»!!

رجل الأعمال الغامض وثروة لا حدود لها

كما نشرت جريدة القبس الكويتية فى عددها الصادر بتاريخ ١٠/٩/١٩٨٤م نقلا عن «فاينانشيال تايمز» تحت عنوان «ثروة الصبى المعجزة تثير الجدل فى بريطانيا».. أعمال أشرف مروان ازدهرت فى عهد السادات لأنه كان مقربا من جيهان السادات!!

ويتناول الخبر فى تفاصيله ثروة أشرف مروان فيقول: لا حدود للثروة التى جمعها أشرف مروان رجل الأعمال المصرى الغامض الذى باع مؤخرا حصته فى دار «فليت هولدنجز» للنشر والتى تصدر عنها «الديلى اكسبريس» والجدير بالذكر أن هذا الحدث لاقى جدلا أكبر مما يلاقيه أشرف مروان فى مصر!!

فالدكتور أشرف مروان يمثل مكانة خاصة فى مصر بسبب زواجه من ابنة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. ومنذ أن سلطت عليه الأضواء فى فليت ستريت.. لاقى مروان اهتماما منقطع النظير.. وإن كان انعكس ذلك عليه بالسلب من جانب الصحافة المصرية.. فقد سلطت الصحف المصرية الأضواء على كيفية جمع مروان لهذه الثروة الطائلة التى بدأت بالتراكم فى السبعينيات عندما أصبح من الذين يتمتعون بثقة الرئيس السادات.. وعندما أصبح رئيسا لهيئة التصنيع الحربى العربية التى تساهم فيها دول عربية عديدة لأجل شراء وتصنيع المعدات الحربية..

ويذكر أن الدكتور أشرف مروان اتخذ هذه المكانة البارزة فى مصر أواسط السبعينيات من هذا القرن عندما تزوج من منى عبد الناصر حيث إنه أصبح موظفا فى حكومة عبد الناصر فى حينه.. ولكنه كان موظفا صغيرا إلى حد ما.. له اتصالات جيدة وكان يساعد فى أعمال المخابرات وجمع المعلومات.

وبعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٧٠م.. بدأ مروان يجمع ثروة طائلة.. ويتمتع بجزء من النفوذ!!

فقد كان الدكتور أشرف مروان مقربا شخصيا من الرئيس الراحل أنور السادات.. وعمل لمدة من الزمن مستشارا شخصيا له.. فقد لعب دور المبعوث الخاص للرئيس السادات فى العالم العربى.. ولجمع المعلومات والمخابرات السرية..

كما أنه كان محبوبا بشكل خاص من السيدة جيهان السادات وهناك بعض الشكوك الخاصة بما أشيع عنه بأنه منذ بداية وحتى أواسط السبعينيات كان يمارس نفوذا قويا فى حكومة السادات حتى إنه وصف فى مصر بأنه «الطفل المعجزة» بسبب الشهرة الكبيرة والمكانة المرموقة التى حققها وهو لا يزال فى أواخر العشرينيات من عمره.

وبالنسبة للرئيس أنور السادات.. كان الدكتور أشرف مروان بمثابة حلقة الوصل بعهد عبد الناصر.. وهو عهد يتمتع بشعبية واسعة فى مصر!!.. كما أنه كان ذا فائدة للسادات.. لأنه وبسبب خلفيته الناصرية.. تمكن من التعامل مع نظام معمر القذافى بليبيا..

وكان مـــروان يحتفظ بعلاقات ودية مع شـــخصيات كبيرة فى الحكومة الليبية ! ! .

كمـــا أن أشـــرف مروان كان يرتبط بعلاقة وثيقـــة على وجه التحديد مع رجل الأعمال الســـعودى الكبير كمال أدهم صهر الملك السعودى الراحل فيصل بن عبد العزيز والذى عمل مستشـــارا فى البلاط الســـعودى حتى عام ١٩٧٩م.

ويذكر أن كمال أدهم يعتبر مهندس الوفاق الســـعودى المصرى فى أوائل السبعينيات.

ثروة.. أشرف مروان

وبغض النظر عن حصة أشرف مروان فى «فليت هولدنجز» فإن مروان باع أســـهما قيمتها حوالى ٩ ملايين جنيه استرلينى بالإضافة إلى الفوائد التى يتقاضاها عن أســـهمه فى مجموعة «هاوس أوف فريرز متورز».. إلى جانب أملاكه.. وفنادقه المنتشـــرة فى أماكن عديدة.. هذا عدا مشـــاريع استثمارية أخرى ! !

وقد قدرت ثروته الشـــخصية بحوالى ٢٠ مليون دولار.. وفى مصر يعتبر هـــذا التقدير ملطفـــا.. فقد كتب عثمـــان أحمد عثمـــان رئيس مجموعة المقاولـــون العرب.. وهى أكبر مجموعة هندســـية مصرية أن مروان جمع حوالى ٤٠٠ مليون دولار.. وذكر أن الدكتور أشـــرف مروان وزوجته ظلا من أبرز وأغنى الشخصيات فى المجتمع المصرى حتى جاء عهد مبارك الأكثر تقشفا سنة ١٩٨١م.

الانتقال.. إلى أوروبا

ربما كان أشـرف مروان قـد تكهن بتغير المناخ السياسـى فى مصر مما جعله يكرس جهوده فى السنوات الأخيرة من عهد السادات لأعماله الخاصـة فى أوروبا.. لجمع أكبر ثروة ممكنـة.. وهكذا فقد كان يمضى هناك وقتا أطول من الوقت الذى يقضيه بمصر! !

ولهذا فى أعقاب رحيل أنور السـادات وتسلم الرئيس مبارك للرئاسة.. انتقـل مـروان إلى إنجلترا للإقامة هناك ويذكر أن أعمال أشـرف مروان الخاصة فى مصر ليست بذات شأن.

والدكتور مروان ظل الشـخصية مثار الجدل الكبير فى مصر.. ولا عجب أن لحقته نفس الجدلية إلى أسواق أوروبا المالية.

نسى.. بلده مصر

غريب أمر ابن مصر أشرف مروان.. تبرع بـ ٨ ملايين جنيه استرلينى لناد إنجليزى.. وتجاهل ضحايـا بعض الكوارث التى حلت بالمصريين منذ سنوات مثل زاوية عبد القادر وكارثة الباخرة سالم اكسبريس..

ففىْ الوقت الذى عانت بلده مصر من كوارث صعبة.. بدأت بغرق زاوية عبد القادر.. وانتهت بحادث الباخرة «سـالم اكسبريس» سنة ١٩٩١م، نفاجأ به يتحدى مشـاعر المسلمين فى كل مكان ويتبرع بمبلغ ٨ ملايين جنيه اسـترلينى لأحـد الأندية الإنجليزية لمجرد التقـرب إلى الرئيس الفخرى للنادى «جـون ميجور» رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت.. بينمـا لم يفكر فى إرسـال جنيه واحـد لمن أضيروا فى تلـك الكوارث الأخيرة وكأن بلده لا يهمه من قريب أو بعيد! !.

وليس أشـرف مروان وحده الذى نسى بلده وقت الأزمات.. وإنما هناك مئات الأغنياء فى مصر وخارجها أنعم الله عليهم من فضله كثيرا.. وكان واجبـا عليهم أن يخرجوا زكاة أموالهم لمسـاعدة الضحايا.. عملا بقوله عليه الصلاة والسـلام «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسـد الواحد إذا اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».. لكن للأسف لم يتحرك أحد.

وإذا كانـت الحكومة قـد بذلت كل جهدها.. وقدمت كل المسـاعدات لإنقاذ الضحايا وتخفيض حجم الكارثة عليهم.. إلا أن الشـىء المحزن أن الذين يتباكون على الحرية ليلا ونهارا.. اكتفوا بإصدار بيان لا يسمن ولا يغنى من جوع..

إن الذى فعله أشرف مروان يؤكد أن الوطنية قد انتقلت إلى رحمة الله.. ولم يعد أمامنا إلا أن نقرأ على روحها الفاتحة!!.

العميل المصرى.. الذى خدع الموساد

ظل أشرف مروان شخصية غامضة.. تثير التساؤلات المحيرة حولها.. وقد تناولت بعض الأقلام التركيز على بعض جوانب شخصيته.. أو إلقاء الضوء على زوايا حياته!..

ومن أخطر ما أثير من موضوعات حول الدكتور أشرف مروان ذلك التحقيق الذى نشـر بمجلة أكتوبر فـى عددها الصادر بتاريـخ ٢٠٠٣/٢/٢٣م.. والذى أشار إلى أن أشرف مروان العميل الكبير للموساد فى مصر!!.

صحيح أن أشـرف مروان نفى ذلك فى مقابلة مع صحيفة الأمة.. واتهم الموساد بالخيال الخصب.

وكان قد استقى التحقيق المنشور بالمجلة معلوماته من كتاب المؤرخ الإسرائيلى «أهارون برجمان» الذى يؤكد فيه أن مروان عميل مزدوج للذى أسماه «حروب إسرائيل من ١٩٤٧م إلى ١٩٩٣م» وقد أصدره باللغة الإنجليزية عن دار نشر «روتلدج» فى لندن ونيويورك.

بداية القصة

كشفت إسرائيل فجأة عما تسميه بأحد المصادر المهمة للغاية التى كانت للموساد فى مصر.. وهو المصدر الذى أمدها بمعلومات حول الحرب الوشيكة فى أكتوبر سنة ١٩٧٣م.. والغريب أن يتردد اسم رجل الأعمال المصرى أشرف مروان بوصفه العميل الكبير للموساد فى مصر!!..

فلماذا لجأت إسرائيل إلى كشف ذلك.. برغم أنه من أهم المبادئ والأسس لدى أى جهاز مخابرات فى العالم الحفاظ على هوية العميل.. وعدم كشف المصدر تحت أى ظرف من الظروف.

وأبسط مثال على ذلك أنهم فى الأرشيف الوطنى البريطانى «بابليك لندن» لا ينشرون ملفات أو وثائق يمكن أن تكشف أسماء من كانوا عملاء لحكومة جلالة الملك حتى أثناء حرب نابليون أى قبل ما يقرب من المائتى عام!.

وقد أكد أهارون برجمان «رونى» أن أشرف مروان بالفعل عميل مزدوج استطاع خداع إسرائيل.. ومكّن مصر وسوريا من مفاجأتها فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م.

ويشير المؤرخ الإسرائيلى فى كتابه «إلى أن الدكتور أشرف مروان من مواليد ١٩٤٤م.. وينحدر من عائلة مصرية كبيرة.. درس فى بريطانيا

وحصل على الدكتوراه فى الاقتصاد.. وتزوج فى الستينيات ابنة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مما جعله أقرب ما يكون إلى الرئيس.. فكان بمثابة سفير متجول».

ويكمل سطوره.. فيقول «وفى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات تردد اسمه كمدير لمكتب الرئيس.. وكمنسق من قبل الرئيس مع أجهزة الاستخبارات المصرية.. وهو الآن يقسم وقته ما بين لندن والقاهرة.. فهو رجل أعمال دولى يمتلك ٣٪ من أسهم فريق تشيلسى الإنجليزى لكرة القدم».

ويستشهد المؤرخ الإسرائيلى بأقوال الصحفى «يوسى ميلمان» فى صحيفة «هاآرتس» الذى قال: إن اسم أشرف مروان تردد فى أواخر الثمانينيات بين رجال الأعمال الذين تنافسوا على شراء محلات «هارودز» الشهيرة فى لندن.. وأنه صديق لرجل الأعمال البريطانى «رولاند» الذى ساعد إسرائيل كثيرا فى عملياتها فى إفريقيا وبصفة خاصة فى السودان.. وأنه كان صديقا أيضا لرجل الأعمال المصرى محمد الفايد.. وأن الثلاثة عملوا معا لكنهم تفرقوا بعد ذلك.

لماذا الكشف؟

لكن ما الذى يدعو إسرائيل إلى نشر اسم رجل محترم فى بلده كأشرف مروان.. والادعاء بأنه كان جاسوسا وربما عميلا مزدوجا لصالحها.. وأنه لم يكن مجرد جاسوس بل كان عميلا كبيرا.. أمدها بمعلومات مهمة حول الاستعدادات للهجوم عليها فى أكتوبر سنة ١٩٧٣م؟

هذا هو السؤال الذى طرحه المحلل العسكرى «زئيف شيف» فى صحيفة «هاآرتس».

وكانت القصة قد بدأت على يد المؤرخ الإسرائيلى د.«أهارون برجمان» «رونى» الذى غادر إسرائيل عام ١٩٨٩م.. وأقام فى بريطانيا بعد أن أعلن رفضه لأداء الخدمة العسكرية فى المناطق الفلسطينية المحتلة بسبب الانتفاضة الأولى.. وكان «برجمان» نائبا لقائد كتيبة مدفعية على حد قوله!

ولم تكن له أية علاقة بالمخابرات الإسرائيلية.. وبعد أن أتم دراسته للحصول على الدكتوراه من جامعة لندن تفرغ لتأليف «كتاب حول النزاع بالشرق الأوسط»!!

وكان أحد المشاركين فى إنتاج مسلسل تليفزيونى للـ«بى.بى.سى» بمناسبة مرور خمسين عاما على قيام دولة إسرائيل.. ثم أصدر كتابه «حروب إسرائيل من ١٩٤٧م إلى ١٩٩٣م» والذى ألمح فى أحد فصوله إلى العميل المصرى الذى جند نفسه للموساد.. واستطاع خداع إسرائيل.. وإمدادها بالمعلومات المفبركة فى ربيع عام ١٩٧٣م مما جعلها ترفع درجة الاستعداد.. وتعلن التعبئة العامة.

وكيف أن هذا العميل برغم صغر سنه كان مقربا جدا من الرئيسين جمال عبد الناصر وأنور السادات.

فك اللغز

ومن يومها بدأت مصر وإسرائيل محاولات فك اللغز وكشف الشخصية التى ألمح إليها «برجمان» فى كتابه.. وسرعان ما أخذت الأصابع تشير إلى أشرف مروان، وقد أكد ذلك حديث «برجمان» نفسه

الـذى أجرته معه «خلود الجمال» ونشـرته فى صحيفـة الأهرام بتاريخ ٢٢ ديسمبر٢٠٠٣م.

فعندما سُئِل لماذا لم يذكر فى كتابه اسم العميل؟

رد بقولـه: لقـد حرصت فى كتابى على عدم ذكر اسمه.. ولم أقل حتى إنه زوج ابنة عبد الناصر.. وكل ما قلته.. إن هذا الشـخص تربطه صلة قرابة بعبد الناصر..

واسـتطرد برجمـان قائلا: إن أشـرف مروان رد على ذلـك بأن القصة بأكملها محض خيال.. أو ما شابه ذلك..

ولكـن على أن أدافـع عن اسمى كمؤرخ.. ولا يمكـن أن أقبل مثل هذا الأمر.. فالرجل الذى ألمحت إليه فى كتابى بأنه زوج الابنة هو أشرف مروان.. وهو الجاسوس الذى تحدثت عنه.. وكان جاسوسا مزدوجا..

وأكمـل برجمـان كلماته قائلا: إننى أقـدره للغايـة.. وأعتقد أنه كان جاسوسا محترفا للغاية.. وكان جاسوسا كما يجب أن يكون الجاسوس.

مبادرة شخصية

كان المـؤرخ «برجمـان» قد ذكـر فى كتابه أن العميـل الكبير قد تم تجنيده بواسطة إسرائيل على ما يبدو عام ١٩٦٩م.. لكن الشىء الغريب فى الموضوع أن العميل هو الذى عرض خدماته بمبادرة شخصية منه.

ففى أحد الأيام دخل على السـفارة الإسـرائيلية بحى كنجسـتون فى لندن.. وعرض التطوع للعمل لصالح الموساد..

ومـن الممكـن بالطبع افـتراض أن الإسـرائيليين قاموا بفحـص العميل من جميع النواحى قبل تشغيله.. فإذا كان العميل المتطوع يثير الشك فى

دوافعـــه.. فما بالكم بعميل وثيق الصلة بنظام الحكم.. ويمكنه بســـهولة الحصول على أكثر المعلومات سرية.

وكانت مخاوف إســـرائيل تدور فى أساسها حول ما إذا كان هذا العميل المتطـوع قد تم دفعـــه من قبل المخابرات المصريـــة.. وأن هدفه هو القيام بعمل العميل المزدوج لكى يضللها ويزودها بمعلومات كاذبة.

ولكن بعد أن تم فحص العميل من جميع النواحى اتضح أن المتطوع الجديد صالح للعمل.. فقد اتضح للإســـرائيليين أن دوافعه ليســـت مادية فقط.. وإنما هى خليط من الأسباب الأيديولوجية.. والسياسية.. والعائلية!

وســـرعان ما حظى الرجل بتقدير كبير من إسرائيل فالوثائق التى سلمها للموســـاد كانـــت تقرأ كما هى كمـــادة خام دون أى تفســـير أو إضافة.. والذى قام بقراءتها رئيس الوزراء الإسرائيلى ووزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات العسكرية.. وفى مقابل ذلك تلقى العميل مبالغ طائلة من الموســـاد وصلت إلى ٣٠٠ ألف دولار بأســـعار تلك الأيام.. مقابل كل لقاء كان يجريه مع ضابط الاتصال الإسرائيلى الخاص به.

أهم وثيقة

ويضيـــف المؤلف فى كتابـــه.. «إن أهم وثيقة قام العميل بتســـليمها للموســـاد كانت عبارة عن تسجيل للمحادثة التى جرت بين عبد الناصر وبريجنيـــف فى موســـكو ينايـــر ١٩٧٠م.. وثمة وثيقة مهمـــة أخرى.. قام العميل بتســـليمها وهى الرسالة الســـرية التى بعث بها السادات إلى بريجنيف ٣٠ أغسطس سنة ١٩٧٢م».

وفى كلتا الوثيقتين.. طالب المصريون بالحصول على سلاح رادع بحجة أنه بدون هذا السلاح لا يمكنهم القيام بأى عمل عسكرى.

وقد قام العميل من جانبه بإرفاق إيضاح لهاتين الوثيقتين يقول فيه.. إن عبد الناصر والسادات من بعده توصلا إلى نتيجة مؤداها أن القاذفات متوسطة المدى وصواريخ سكاد شرط مسبق وحتمى لدخول الحرب.. وبدون الطائرات والصواريخ لن تقدم مصر على مهاجمة إسرائيل.

ويقول «يوسى ميلمان» فى صحيفة «هاآرتس» إن العميل الكبير أبلغ إسرائيل فى مايو سنة ١٩٧٣م بأن مصر تنوى شن حرب تحت غطاء القيام بمناورة عسكرية.. فقامت إسرائيل على الفور.. وبأمر من رئيس الأركان آنذاك «دافيد إليعازر» بتعبئة الاحتياط.. وهو ما أرهق الميزانية بصورة كبيرة.. ولكن المصريين لم يخرجوا للحرب وعندئذ أيضا تم بذر الشقاق سواء بين رئيس الأركان ووزير الدفاع أو بين رئيس المخابرات العسكرية ورئيس الموساد.

وهو الشقاق الذى أدى فى رأى الكاتب إلى الفشل الذريع الذى منيت به القوات الإسرائيلية بعد حوالى ستة أشهر.

وبعد ذلك كانت خدعة مايو سنة ١٩٧٣م بمثابة السلاح فى أيدى رئيس المخابرات العسكرية آنذاك «إيلى زعيرا» الذى اتهمته لجنة التحقيق التى شكلتها إسرائيل برئاسة القاضى «أجرانات» لبحث أسباب هزيمتها فى أكتوبر سنة ١٩٧٣م.

وعن المسؤولية عن فشل الاستخبارات فقد قال «زعيرا» أمام اللجنة بأن عميل الموساد كان فى حقيقة الأمر عميلا مزدوجا.. وأنه زود إسرائيل

بمعلومـات مضللة لكى (ينوّم) المخابرات الإسـرائيلية على طريقة قصة «الراعى الصغير والذئب».

انتهاء أسطورة أشرف مروان بقرار.. جمهورى

صدر سـنة ١٩٧٨م قرار جمهـورى بإنهاء إعارة أشـرف مروان إلى الهيئة العربية للتصنيع الحربى ونقله إلى وزارة الخارجية..

وكان أشـرف مروان يشـغل منصب رئيس مجلـس إدارة هيئة التصنيع المصرية العربية بعد أن أعير لها من وظيفته برئاسة الجمهورية ٢٢ مارس سـنة ١٩٧٦م.. وكانـت إعارته إلى الهيئة إبعادا له من العمل برئاسـة الجمهورية وقد كان يشغل منصب سكرتير الرئيس للمعلومات.

وقد نسبت إليه فى ذلك الوقت اتهامات خطيرة بانحرافات.. وأمر الرئيس السادات بأن يحقق فيها المدعى العام الاشتراكى معه.

وكان موضوع الاتهامات شـراء السيدة قرينته لأرض زراعية فـى ناحية الهرم.

وكانت إجاباته فى التحقيق أنها لم ترث شيئا وقد اشترت الأرض بثمن سيارات قدمت لها هدية من شخصيات عربية تكريما لها بوصفها كريمة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. ثم باعت هذه الأرض بسـعر أكبر.. واشترت بالثمن الجديد قطعة أكبر.

ولم يثبـت التحقيق ما يدين تصرفه الشـخصى.. فتقرر إعادته إلى هيئة التصنيع العربية.. على أسـاس أن عمله كان من طبيعته الاتصال بعدد من القيادات العربية.

كما أن الرئيس السادات لا ينسى لأحد خدمة قدمها لبلده.. ولذلك فقد منحه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تقديرا لما قام به من خدمات خلال حرب أكتوبر وجهده الشخصى بتوفير قطع الغيار اللازمة للقوات الجوية.. وكانت جميع المصانع فى أوروبا مغلقة..

كما أن ترشيحه للعمل فى هيئة التصنيع الحربى متفق مع رغبات بعض المسؤولين العرب المساهمين فى الهيئة..

وتحولت هيئة التصنيع إلى دولة داخل دولة.. أنشئ بها مناصب عديدة وبمرتبات ضخمة.. كثرت عدد الوظائف التى لا يقوم أصحابها بأعمال ذات قيمة تعادل المرتبات الكبيرة التى يتقاضونها.

قدم أشرف مروان باسم الهيئة إلى عدد من الشخصيات العامة تليفزيونات ملونة حولها من تلقوها إلى الجهات الرسمية التى يعملون بها.. ورفضها البعض.

كما تلقت الجهات المسؤولة اعتراضات كثيرة على سلطات أشرف مروان وتصرفاته من بعض الجهات العربية.

❑❑❑

الشخصية الثالثة

من القاع إلى القمة.. أحمد إبراهيم

مـن العجيب.. ومن الملفت للنظـر أن أغلب من أصبحت حياتهم المرفهـة.. وحجـم ثرواتهم الضخمـة مثارا للتسـاؤل هم مـن أخواننا الناصريـين!!.. هؤلاء الذين يؤمنون بمذاهـب ومبادئ الناصرية..الربح للجميع.. وليس لفرد فقط. فكيف استطاع هؤلاء حل هذا اللغز وتحقيق تلك المعادلة الصعبة؟!!.

فتاريخ هؤلاء المشـاهير معروف.. وبداياتهم لا تخفى على أحد.. أو على من يقلب فى دفاترهم القديمة؟!!

فنحـن لا نلـوم أحد علـى ثرائه الفاحـش.. أو على الملايـين المتدفقة إلى خزائنـه.. إذا كان قد اجتهد.. وعمل.. وثابـر وكافح ليحصل على تلك الأموال الوفيرة!!..

ولكن الذى لا نستطيع أن نغفله أو نتجاهله.. أو ننساه أو نتجاوزه.. أن نوافق على تنازل الإنسـان عن مبادئه وانتماءاته الأخلاقية والسياسية.. أى عـن كينونتـه.. فماذا يتحـول بعدها؟ وما الذى يبقـى منه؟.. هذا هو السؤال..

فقـد اعتدنا على سماع من يتشـدقون ليل نهـار بالديمقراطية والحرية والحزبية السياسـية.. إلخ، وعنـد أول منعطف تختفى تلك الكلمات..

وتسقط تلك المبادئ فى قاع النسيان وتتحول إلى أشباح تخيف الجميع.. وأول من يخشاها ويسعى للهروب منها هم.. أصحابها؟!!.

فالكثيرون من أصحاب الأخلاقيات والمبادئ سواء كان الحزب الفلانى أو العلانى.. هل يعى أى منهم حقيقة دوره؟ وأن عليه أن يثبت على مذهبه ومبادئه والدفاع بقوة وإيمان عنها؟

ومن أكثر الأحزاب التى يتشدق أصحابها بالانتماء إليها هو «الحزب الناصرى».. فالأغلب والأعم يلتصقون بالناصرية ولكن هل مازالوا ينتمون بالفعل قولا وفعلا لمبادئ الناصرية.. أم العكس؟!!..

ولا يعنى قولى هذا إننى من المنتمين إلى الناصرية كمذهب أو حزب.. وإنما أدافع بشدة عن ضرورة استماتة أصحاب المبادئ والأخلاق السياسية إلى انتماءاتهم لمذاهبهم السياسية سواء كانت تلك المذاهب يمينية.. أو يسارية.. أم إسلامية؟!.

ففى عصر الانفتاح الاقتصادى.. هرول الجميع يحمل كل منهم سلته ليجمع الثمار.. ويسقط ما بداخلها من مبادئ آمن بها واعتنقها.. بل ومارسها لسنوات.. ثم أصبح يوارى وجهه بعيدا عنها.. وكأنه ينكر معرفته بها من بعيد أو قريب!!..

والأمثلة كثيرة.. على تلك النماذج.. التى انتشرت فى المجتمع المصرى.. فلم يعد خافيا على أحد عدد المليونيرات فى مصر.. والذين تفاقم عددهم وتصاعد.. بسرعة الصاروخ.. فى خلال سنوات قليلة!!.

ولكن ما يثير اهتمامى.. هم مليونيرات الناصرية.. والتساؤل هنا.. كيف استطاع صاحب المبدأ الناصرى أن يحقق معادلته ونظريته الناصرية فى أن يصبح مليونيرا.. فالناصرية.. تؤمن بأن الربح للجميع.. وأن رأس

المال مشاركة بين الكل.. والمليونير أو رجل الأعمال.. يؤمن بالرأسمالية.. وأن رأس المال ملك له بمفرده!!..

هذا التساؤل يحتاج إلى وقفة.. وتحليل دقيق.. لأصحاب المبادئ المزدوجة.. أو المبادئ الانتقالية التى يلتحف بها عند الحاجة إليها ثم ينزعها عندما لا يريد.. أو كأنواع السيارات التى يملكها.. يبدلها حسب الموضة.. أو نوع الموديل؟!!.. والتساؤل.. سيطرح خلال سطورى ربما أجد جوابا عليه!!..

شخصية.. مُحيرة

وكعنوان برنامج «سؤال محيرنى».. أجد أن هناك شخصية تثير حيرتى.. أيضا وبشدة.. وبشكل ملح.. دفعنى ذلك دفعا إلى التطرق لبعض دهاليزها.. ومعى مصباحى الصغير حتى لا أصطدم بطوبة فتكسر لى ساق أو ذراع.. أصبح بعدها لا حول لى.. ولا قوة!..

هو صاحب شركات مقاولات وصرافة وشراء أراض.. إمبراطورية ضخمة هائلة.. اللهم لا حسد!!..

وذلك ليس مربط الفرس.. وإنما الحكاية والبداية هى دى أصل الرواية!!..

كانت جدتى رحمها الله.. تحاول أن تقص لنا ونحن صغار حواديت قبل النوم حتى تخلص أمى شقاوتنا وإزعاجنا لها طوال اليوم.. وبالفعل نستسلم فى نوم لذيذ على صوت جدتى الجميل..

ولكن هناك بعض الحواديت.. والحكايات تصيبنا بالصدمة والدهشة.. والتعجب!! فنفيق من غفوتنا.. ومن غفلتنا.. ومن الضحك على الدقون الذى تمارس علينا.. طوال الوقت!..

مركز شباب

وحكايتنا النهاردة.. هى حكاية رجل الأعمال أحمد إبراهيم التى سنعود معها إلى «الستينيات» حيث الاتحاد الاشتراكى ومراكز الشباب الطليعية التى تربى وتنمى الشباب وتزرع بداخلهم الانتماء للوطن وحبه!!.. وكان أحمد إبراهيم واحدا من المسؤولين عن ذلك.. كان وقتها مسؤول الشؤون الإدارية بمركز شباب الساحل وزينهم.. وهذا يعنى أنه المسؤول عن الإعاشة للدارسين بالمعهد من مشاكل الإقامة وما يترتب عليها.. وكان أحمد إبراهيم وغيره يقومون بأعمالهم فى ظل ترتيبات مركزية تتم بمعرفة المنظمة مركزيا..

ومراكز الشباب تلك كانت فى الستينيات أيام حكم الرئيس عبد الناصر معاهد لتخريج أعضاء تنظيم الشباب..

وظل أحمد إبراهيم - كما يقول أحد زملائه ورفقائه فى منظمات الشباب - فى عمله كمسؤول إدارى بمركز شباب الساحل إلى أن توقف العمل بالمعاهد الاشتراكية يوم ٦ يوليو سنة ١٩٦٧م والموافق ثانى يوم العدوان الإسرائيلى على مصر.. ومن ثم تم تسريح الفوج المشارك فى الدورات من الشباب بالمراكز وعاد الجميع إلى أقسامهم المنظمة مركزيا كموجهين وإداريين!!

ويستطرد رفيق وزميل أحمد إبراهيم فى حكايته فيقول: بعد فترة كلف أحمد إبراهيم بأن يكون أمينا عاما لمركز شباب باب الشعرية.. وكانت ظروفه الحياتية فى ذلك الوقت منتهى التقشف وشديد الفقر.. وكان يعد من الطبقة الفقيرة جدا فى مصر..

ثم يستكمل حكايتهما معا.. فيقول: كنت أنا فى ذلك الوقت أمين شباب الدرب الأحمر.. ثم أصبحت مسؤول أقسام وسط القاهرة ومن بينها قسم باب الشعرية.. الذى كان أحمد إبراهيم أمينا عاما له..
وظل الحال هكذا فى عام ١٩٦٩م.. حتى توليت أنا بعد ذلك منصب أمين تصنيف القاهرة وعضو لجنة محافظة القاهرة.
ثم يستطرد: فى هذا الوقت اختفى أحمد إبراهيم.. وانقطعت أخباره عنى حتى سمعت أنه سافر إلى دول الخليج.. وعلى ما أظن.. الكويت.

إعلان بالجريدة

ويكمل رفيق الزمالة مع أحمد إبراهيم حكايتهما معا فيقول: فوجئت ذات يوم وبعد فترة من انقطاع أخبار إبراهيم عنى.. وأنا أتطلع إلى الجريدة التى أمامى.. فإذا بى أفاجأ بأحد الإعلانات المبوبة فى صفحة الإعلانات تحت عنوان «نشترى أطقم فضيات وأدوات سفرة».. وتحت هذا الإعلان رقم تليفون أحمد إبراهيم.. والذى كنت أحفظه عن ظهر قلب.. وعلى الفور اتصلت برقم التليفون كنوع من الهزار والتهريج..
وقلت له إننى أريد بيع طقم فضيات.. ولكن فى نهاية المكالمة عرفته بنفسى وبأننى زميل رحلته بمنظمات الشباب.. ورجعنا بعد هذه المكالمة نشوف بعض مرة أخرى!!..

من أين لك هذا؟

ثم فى عام ١٩٧٦م فوجئت بأحمد إبراهيم يمر علىّ بمكتبى بالبنك المركزى وكنت أعمل فى ذاك الوقت كنائب عام مدير شؤون العاملين..

وأخبرنـــى فى تلك المقابلة معى بأنه تقابل مع الدكتور عبد الأحد جمال الدين وزير الشباب والرياضة.. والدكتور مفيد شهاب وعدد من القيادات وأخبرهم باســتعداده التــام لدفع مصروفات الــدورة الأوليمبية فى ذلك الوقت والتى كانت ســتقام فى أمريكا.. وتَحمُّل كل المصروفات الخاصة بالسفر..

يتوقــف راوى الحكاية.. وزميل أحمد إبراهيــم فى رحلتهما بالمنظمات الشــعبية ثم يســتطرد حكايته قائلا: كان وقع كلامه على نفسى غريبا ومثــيرا للدهشــة والتعجب إلى أقصى درجة ممكنــة.. فأنا أعرف أحمد إبراهيــم منذ زمن طويــل.. وأعلم تماما ما هى ظروفــه المادية الصعبة.. وسألته.. من أين لك هذا؟!..

فأجابنى قائلا: أنا الآن صاحب شــركات مقاولات وشــراء أراض وأكد لى أن لــه مشــاركات مالية على أعلى مســتوى مــع دول الخليج ويدير كل أعمالــه من خلال شــركته الكــبرى التى أطلق عليها اســم «بيتكو» للمقاولات.. والذى كان مقرها فى ذلك الوقت ببرج أم كلثوم!..

وكان مــن الطبيعــى أن أتابع أعمــال أحمد إبراهيم فأصبحت أشــاهد إعلانات شركاته هنا وهناك شركات صرافة – شركات مقاولات.. وكلها يطلق عليها «بيتكو».

وبعد ذلك بفترة.. ذهبت إليه بمقر شركته الجديد بجوار السفارة الفرنسية فى برجه الكبير الذى يطلق عليه «برج بيتكو»..

وهنــاك.. داخــل مقر الشــركة الجديدة لمســت إلى أى حد وصل أحمد إبراهيــم فى أعماله إلى درجة كبــيرة من الثراء.. فالفخامة كانت مظهرا واضحا داخل مكاتب الشركة وموظفيها!!

ثم يكمل حكايتهما.. فيقول: رأيت أننا كزملاء ورافق بعضنا بعضا لسنوات.. داخل منظمات الشباب وكان لكل منا دوره الإيجابى.. أن أعرض عليه أمرا وهو إحياء دور هذه المنظمات وحاولت إقناعه بتلك الفكرة.. وعمل استفتاء على الأسباب التى دعت إلى اختفاء دور هذه المنظمات.. ولم أتوقع ما سمعته منه!!..

اعتذر أحمد إبراهيم بشدة.. بحجة أن له مصالح الآن عليه أن يحافظ عليها.. وقال لى.. إنه مسؤول عن أرزاق ناس!!..

وحتى يخفف وطأة وقع كلماته على نفسى.. قال لى سأفكر فى الأمر.. وسوف أتصل بك.. ولم أسمع صوته نهائيا..

وعن رأيه الشخصى فى ذلك؟

يقول: إن أحمد إبراهيم نموذج للإنسان الذى يبحث عن مصالحه فقط بأى وسيلة.. فهو يبحث عن غاية واحدة، القرش الأبيض الذى ينفع فى اليوم الأسود.. ولا يأبه لأى مبادئ سياسية كان يعتنقها.. لقد تناسى كل شىء.. وفقد اهتمامه بتلك المبادئ التى كان يؤمن بها فى الماضى.. إنه إنسان برجماتى يبحث عن المكسب بسهولة دون أن يرتبط بأى مبدأ.

لقد طرح وراءه مبادئ الناصرية التى كان يجب أن يكون من المدافعين عنها.. فقد تربى فى أحضانها.. وترعرع بين مبادئها.. فهو يعد واحدا من قيادتها.. وكان يجب أن يكون له دور إيجابى واضح غير موارب.

ويكمل كلماته قائلا: إن أحمد إبراهيم أراد أن يتهرب من الماضى.. من مبادئه.. من مرحلة ولت وانتهت.. ونجح فى ذلك فقد أصبحت له

مشـاركات مالية كبيرة وأصبـح من أصحاب الملايـين.. وحقق الأرباح والثروة الوفيرة!..

ولم يعد هناك ما يشغله سوى تنمية ثروته بجميع الوسائل والسبل التى سُمح بها فى عهد السادات!!

❑❑❑

الشخصية الرابعة

قوطة..حوت بورسعيد المغرور

قوطــة الرجــل المغرور.. ذلك هــو اللقب الذى أطلقــه عليه أبناء بورســعيد وأهالى دائرة المناخ.. فقد كان عبــد الوهاب قوطة دائم التعالى عليهم.. وواقعته الشهيرة التى ارتكبها أمام مبنى محافظة بورسعيد تؤكد أن هذا اللقب من أجله!!

من هو عبد الوهاب قوطة؟

هو رجل الأعمال البورســعيدى وصاحب مجموعة قوطة للحديد والصلب ورئيس اللجنة الاقتصادية الأســبق بمجلس الشــعب.. وأحد ألمع نجوم الفســاد.. ألقى القبض عليه بتهمة الاســتيلاء على أموال البنك المركزى والمتاجرة بالدولار فى السوق السوداء مستغلا فارق السعر.

أحداث مثيرة

رحلــة قوطة من البداية وحتى الصعــود إلى الهاوية مليئة بالأحداث المثيرة خاصة.. وأنه بدأ موظفا عاديا فى بنك القاهرة فرع بورســعيد ثم أصبح حوتا كبيرا فى بورسعيد.. وأحد رجال الأعمال وأصحاب الأسماء الرنانة بسرعة الصاروخ..

والحديث عن عبد الوهاب قوطة قد لا يكشف تفاصيل كثيرة إلا إذا كان من خلال الحديث عن نشـاطه فى مجال الحديد والصلب لأنه من باب هذه التجارة صعد اسم قوطة ولمع نجمه فى دنيا المال ورجال الأعمال.
فمجموعـة قوطة للصلـب كانت تأتى فـى الترتيب الثالـث بين أكبر مجموعـات إنتاج للحديـد فى مصر من حيث حجـم الإنتاج.. وكانت تتصدر المركـز الأول مجموعة عز «الدخيلة» التى يمتلكها رجل الأعمال المعروف أحمد عز.
ثم تليها مجموعة «بشـاى» التى تعمل فـى هذا المجال منذ ٥٠ عاما.. ويأتـى بعد مجموعة قوطة فى هـذا الوقت مجموعة محمد الجارحى ثم مجموعة أحمد عطية ثم آل سعيد.. ثم مصانع حلوان.
وتأتى فى آخر الترتيب مجموعة الهوارى التى خرجت من المنافسة منذ فترة طويلة بسبب القروض التى اقترضها تيسير الهوارى وأبناؤه ولم يسددوها.
مـن المعـروف أن عبد الوهاب قوطـة أقام مصنعا للحديـد والصلب فى المنطقة الحرة ببورسعيد.. وكانت البداية من هذا المصنع حيث بدأ يخطو فى هذا المجال بشـكل سريع وبطرق كثيرة.. وأساليب متنوعة.. ولكنه نصب لنفسه فخا كبيرا وزينه بطموحات واهية!! عندما أراد أن ينافس أباطرة الحديد والصلب فى مصر حيث كان الفشل نصيبه.. وتوقف هذا المصنع تقريبا وبدأ فى تسريح عماله برغم أنهم قضوا فيه وقتا طويلا.
وأسـباب انهيار مجموعة قوطة للصلـب تتعدد وتتنوع ولعل من أهمها: تلـك القروض التى أخذهـا قوطة من البنوك بضمان عمله ونشـاطه فى مجال الحديد والصلب.. وبسـبب النكسـات المعـروف أن هذا المجال يتعرض لها كثيرا..

وقع قوطة فى المحظور.. وتراكمت عليه ديون البنوك وتزايدت فوائدها عليه ! ! ..

جذور الأزمة

والهزة التى تعرضت لها صناعة الحديد والصلب فى مصر خلال الخمس سنوات السابقة لعام ٢٠٠٢م تمتد جذورها إلى فترة ليست بقصيرة.. عندما تفكك الاتحاد السوفييتى إلى جمهوريات حيث قامت تلك الجمهوريات يبيع الحديد بأسعار أقل من دول العالم فانعكس ذلك بشكل سلبى على السعر العالمى وبالتالى على سعره فى مصر.
وجاءت بعد ذلك الأزمة التى تعرضت لها دول شرق آسيا.. والتى عرفت وقتها بأزمة النمور الاقتصادية الآسيوية.. وقد أثرت تلك الأزمة بشكل كبير على صناعة الحديد فى العالم حتى وصل سعر طن الحديد إلى ٣٠٠ جنيه للطن.. وهو سعر أقل من سعر التكلفة ! !.

الصراع بين الأباطرة

ولكن بداية عام ٢٠٠٢م بدأت الحالة تتحسن قليلا وينتعش سوق الحديد من جديد.. وفترات الأزمات والفترات التى تعقبها يشتد فيها الصراع بين أباطرة الصناعة الواحدة.. وفى مجال صناعة الحديد والصلب كان الصراع على أشده بين ست مجموعات معروفة من بينها مصانع قوطة، حيث حرص كل واحد من أصحاب هذه المجموعات على إنتاج أكبر نسبة من حجم الاحتياج الإجمالى الذى يحتاجه السوق وقدره ٣,٥ مليون طن سنويا.. ولا يقتصر حرصهم فقط على ذلك بل يمتد

إلى التصدير حيث يحرص كل واحد منهم على أن يكون صاحب نصيب الأسد من «كعكة التصدير» خاصة وأن إجمالى إنتاج الستة مصانع يصل إلى ٦ ملايين طن سنويا..

هامش الربح

ويبدو من العثرات والأزمات التى تعرض لها قوطة ومجموعة شركاته أنه لم يكن يرضى بهامش الربح الضئيل الذى كان يأتى من صناعة الحديد والصلب.. لأن المعروف أن هامش الربح فى هذه التجارة قليل.. ويتراوح بين ٢٪ ، ٣٪ وأقصى ربح يمكن أن يحققه التاجر من صناعة الحديد والصلب ٣٠٠ ألف جنيه.

وهذا الرقم ضئيل من وجهة نظر حوت بورسعيد عبد الوهاب قوطة فقام بالاتجاه بنشاطه إلى مجالات الاستثمار العقارى والمضاربة على الأراضى. وبدأ قوطة فى الاقتراض من البنوك بضمان نشاطه ومصانعه فى مجال الحديد والصلب.. ولاحق الفشل تلك المشروعات والأنشطة وبدأت الديون تتراكم عليه بسبب تعثر مشروعاته.. والهزات التى تعرض لها السوق والمصنع الذى حاول إنشاءه فى شرق التفريعة خير شاهد على هذا الإخفاق.. فقد أخذ قرضا من البنك الأهلى قيمته ٥٠ مليون جنيه لتجهيز المصنع واستيراد خطوط إنتاج من الخارج.. ولكنه لم يفعل فقد مر عامان على القرض.. ولم تأت أى خطوط إنتاج وكانت حجته عدم اهتمام الحكومة بمنطقة شرق التفريعة.. ولم يكتف بذلك.. بل قام بشراء أراض فى هذه المنطقة.. وقام بتقسيمها الأمر الذى أغضب الدولة كثيرا.

ديـــون

تراكمـــت الديون.. وارتفعت الفوائد على قوطة حتى وصلت إلى ٢٠٠ مليون جنيه.. وبسبب فشله بدأت البنوك فى تحريك الدعاوى القضائية ضده.. وراحت تطارده بســبب الضمانات الوهمية.. بل وبدأت دعاوى أخرى تطارده بســبب شــيكات بدون رصيد حررها قوطة على نفسه.. الأمر الذى أدى إلى رفع الحصانة عنه..

تفاصيل مثيرة

بــدأت تحريات رجال الرقابة الإدارية ومباحث الأموال العامة حول قوطة ونشــاطه وحجم مديونياته فى البنوك.. وكشــفت هذه التحريات عــن تفاصيل مثيرة حيث تبين أن قوطة كون مجموعة شــركات باســم زوجتــه ثناء العــزازى وأبنائه محمد وحمدى ووليد وشــيماء تعتمد هذه الشركات على الاقتراض.. والحصول على التسهيلات التى حصل عليها من البنوك بنحو ٧٥٠ مليون جنيه.. وقد تعثر قوطة فى سداد المديونيات المســتحقة عليه للبنــوك.. وخاصة بنك القاهرة حيــث بلغ التجاوز فى حســاباته فــى ٦ /٢٠٠٠ مبلغ ٥٩,٣ مليون جنيــه ترجع فى غالبيتها لعدم ســداد أقساط الدين وفوائده منذ منتصف عام ١٩٩٩م وذلك لتشابه أنشطة شركاته وتماثل نشاطها الصناعى!!.

وكشفت التحريات أن عبد الوهاب قوطة استطاع بمعاونة بعض المسئولين فــى البنــوك التى يقترض منهــا أن يقدر الأصول التــى يمتلكها بمبلغ

٥٠٠ مليـون جنيه، حيـث وضعت هذه البنوك سـعرا مرتفعا للأراضى المقام عليها المصانع التـى يملكها قوطة برغم كونها مخصصة للأغراض الصناعية بالمدن الجديدة!!

٢١ سنة.. سجنا

الفراغ الذى اتسم به رصيد قوطة فى البنوك جعل كل الشيكات التى كتبها لعملائه تعـود إليه.. وبدأت دعاوى الإفلاس تقام ضده.. وأهمها الدعوى رقم ٣٥٩ لسنة ٢٠٠٠م والمقامة من شريف حلمى يوسف!!

كمـا تراكمت الديون أيضا على قوطة.. ليس فقط للبنوك.. بل للحكومة كذلك..

فقد تراكم على شـركة الصناعة والهندسـة ٣٣٠ ألف دولار تمثل قيمة استهلاك المصنع من الكهرباء خلال عام ونصف العام.

هذا بالإضافة إلى قضايا شـيكات.. صدرت فيهـا أحكام تتراوح ما بين سنة و٢١ سنة سجنا، وكذلك ديونه لأحد الفنادق الشهيرة الواقعة على شاطئ البحر.

تلـك التحريات تقدمت بها الأموال العامة فـى مذكرة إلى نيابة الأموال العامـة التى أصدرت على الفور بإشـراف المستشـار ماهـر عبد الواحد النائب العام الأسـبق قرارا بضبط وإحضار عبـد الوهاب قوطة للتحقيق معه.. وبعد سماع قوطة بذلك القرار قام بتسليم نفسه.. وتوجه إلى النيابة بعدما أعلن فى مجلس الشـعب أنه غير مسؤول عن تلك المخالفات التى جاءت فى مذكرة النيابة لرفع الحصانة عنه وأكد أن شركة نجله محمد هى المسؤولة عنها.

تواطـؤ

كشـفت تحقيقات النيابة تورط عبد الوهاب قوطة فى الجريمة التى ارتكبها عبد الله طايل رئيس مجلس إدارة بنك مصر اكسـتريور ومحمود بدير نائب رئيس البنك ومحمد عبد الرازق المدير العام الرئيسـى بالبنك حيـث أخذ قوطة منه ٢١ مليـون دولار التى سـحبها طايل من البنك المركزى بعد أن قام بتشغيل كمبيوتر البنك يومى الجمعة والسبت.. وفتح أبواب فرع مدينة نصر.. وأخذ المبلغ من البنك المركزى بأقل من السـعر المعلن من قبل البنك بعد زيادة أسعار الصرف.. وأخذ قوطة الدولار بسعر ٤٢٧ قرشا فى حين أن سعره فى السوق وقتها كان ٤٦١ قرشا.

وأمرت النيابة بعد تحقيقات موسعة بإخلاء سبيل قوطة بكفالة ٢٠ ألف جنيه.. وأصـدرت قرارا بضبط وإحضار نجله محمـد للتحقيق معه فى المخالفات التى ألقى بها والده عليه!!

الصعود السياسى

ومن الناحية الأخرى نجد قوطة قد خطا بشـكل سـريع فى طريقه نحو الصعود السياسـى حيث بدأ حياته موظفا بسـيطا بأحد البنوك.. وكان معروفـا عنه الذكاء والطموح.. فالتحق بالحزب الوطنى.. وبدأ فى ممارسـة العمل السياسـى.. وانغمس فيه حتى لـع نجمه وصعد اسمه سريعا حتى رشـحه الحزب الوطنى عن دائرة المناخ ببورسعيد.. ونجح قوطـة فى الانتخابـات وأصبح عضوا بمجلس الشـعب.. ولكن نجاحه فـى الانتخابات كان مشـوبا بكثير من الفضائـح حيث عرف عن قوطة

استخدامه للبلطجية فى الانتخابات.. وكذلك شراؤه للأصوات مقابل ٥٠ جنيها للصوت الواحد!!.

وقد مرت فترات إخفاق فى العمل السياسى والحزبى عاشها عبد الوهاب قوطة بسبب رفض الناس أن يكون ممثلا عنهم بالمجلس وحتى لا ينطفئ بريق نجمه كان قوطة حريصا على أن يظل فى دائرة الضوء فدخل النادى المصرى.. وبنفس أسلوبه فى انتخابات مجلس الشعب استطاع أن يصل إلى رئاسة النادى بعد أن أقصى رئيسه المحبوب من الجماهير سيد متولى.. وفترات رئاسته للنادى.. لم تكن هى الأخرى تبشر بالخير للنادى.. فقد كانت المشاكل والمخالفات مثل زبد البحر..

المغرور

وقد عاد قوطة إلى صراعه السياسى مرة أخرى وخاض الانتخابات بنفس الأساليب.. ولا ينسى أحد حتى الآن ذلك المشهد الذى حدث فى مدينة بورسعيد وأمام مبنى المحافظة عندما خرج قوطة من سيارته بعد فوزه فى الانتخابات يطل على الناس وملامحه تبدو وكأنه يخرج لسانه لهم.. قائلا لهم: «أنا نجحت فى الانتخابات بفلوسى».

كادت الجماهير تفتك به بسبب ذلك الموقف وفى مواقف كثيرة مشابهة تسببت فى قيام الناس ببورسعيد بإطلاق لقب المغرور عليه.

وعلاقة قوطة بالمواطنين لم تتحسن على الإطلاق مثلما تقول الأحداث إلا فى فترة قصيرة جدا هى تلك الفترة التى فاز فيها النادى المصرى بكأس مصر.. ولكن سرعان ما انتهى شهر العسل بينهما.. ليعود من جديد كرههم له.

ولكن ما هى حكاية عبد الوهاب قوطة من البداية؟
هو ذلك الشـــاب الصغير الذى بدأ عام ١٩٦٨م العمل السياســـى والعمل العـــام فكان من أبرز القيادات الناصرية.. ومن أهم من اعتنقوا مبادئها.. ونادوا بها.
يقـــول عنه رفيق الكفاح نبيل نجم المحامـــى: كان من المتوقع أن يكون عبـــد الوهاب قوطة أحد الـــوزراء البارزين فى عهد عبـــد الناصر ولكنه تخلص من كل ذلك.. ليسير فى طريق المال والسلطة.. ويسعى إلى الثراء وكان عصر الانفتاح فى عهد أنور السادات هو الفرصة السانحة والذهبية بالنسبة له.. فأصبح مليونيرا.
والبداية دخل عبد الوهاب قوطة البرلمان شـــابا صغيرا يحمل على كتفيه مشـــوارا طويلا من العمل فى المقاومة الشـــعبية وتهجير أهالى بورسعيد.. وعندما بدأ فى ممارســـته البرلمانية عام ١٩٧٠م لفت الأنظار إليه تحت قبة البرلمان بأدائه المتميز وتمكنه من كل موضوع يخوض فيه.. وبأفكاره الاقتصادية غير العادية!!
وشاءت الظروف أن يختفى عبد الوهاب قوطة لسنوات خارج مصر حيث بدأ العمل بالاستيراد لمواد البناء والأسمنت من ليبيا وتونس.
وكانـــت أول درجات الصعود فى طريـــق الثراء والمال والبيزنس، ثم عاد لوطنه حتى اســـتأنف عشقه للعمل البرلمانى.. ولكن هذه المرة كان عضوا بمجلس الشـــورى.. ثم عاد مرة أخرى لمكانه فى مجلس الشـــعب وكيلا للجنة الاقتصادية عصب العمل البرلمانى.
ثم بدأ فى الثمانينيات بإقامة أول مصنع للملابس الجاهزة ثم أقام شركة بورسعيد للاستثمار والتنمية.

ثم أسس بنك بورسعيد الوطنى للتنمية.. ثم أقام شركة «هنيكل» للمنظفات فى بورسعيد.. ثم أسس مصنع لصناعة الثلاجات.. ثم بدأ فى الاتجاه للتصنيع والحديد والصلب فى التسعينيات فى المنطقة الحرة ببورسعيد.. ثم أقام مصنعا آخر أيضا للحديد والصلب فى العاشر من رمضان.

المعروف عن عبد الوهاب قوطة رجل الأعمال الشهير.. وأقدم نائب فى مجلس الشعب منذ عام ١٩٦٨م.. ذكاؤه الحاد.. وطموحه الكبير والذى يظهر نشاطه الواضح.. وقدرته على إظهار إمكاناته فى إطار ملفت للنظر.. سواء كان ذلك فى عمله السياسى أو عالم البيزنس.

وهو لا ينكر أنه ينتمى للنظام القائم بكل توجهاته.. فهو ناصرى حتى النخاع.. فقد تربى فى أحضان الثورة.. ولا يبالغ حينما كان يقول إن أنور السادات زعيم بمعنى الكلمة..

وهو لا يرى عيبا فى ذلك.. فهو مع توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر.. وكذلك مع توجيهات الرئيس أنور السادات..

وهو يحلل ذلك قائلا.. إن الثورة لم يكن لها أبدا أيديولوجية.. بل كانت ثورة توجيهات!!.

أنا مواطن مصرى

فلم يشجع عبد الناصر الماركسية أو الاشتراكية.. ولكن كان لديه توجيهات لتحقيق العدالة الاجتماعية والتى فسرها البعض على أنها توجيهات اشتراكية.. فلم يكن بمقدور الإنسان العادى قبل الثورة أن يصبح رئيس جامعة.. أو نائبا فى مجلس الشعب وفى عصر عبد الناصر حصل الشعب المصرى على إيجابيات كثيرة وإنجازات الثورة

لا حـدود لها.. برغـم التجاوزات التى ارتكبها البعض وأسـاءوا إلى نظام عبد الناصر.

ويؤكـد عبد الوهاب قوطـة.. قائلا: لا يجب المقارنة بـين عبد الناصر والسـادات.. فلكل منهم أسـلوبه فى إدارة الحكم.. وتوجهاته المختلفة وأحلامه وأداؤه..

وهل يعنى ذلك أنك تأثرت بالسـادات كما تأثرت بعبد الناصر؟ عندما طرحت سؤالى عليه.

قـال: أنـا مواطن مصرى.. تأثـرت بمبادئ الثورة.. التـى لم تكن لها أيديولوجيـة أى الإيمـان بنظرية مثل الماركسـية مثـلا.. أو الليبرالية أو الشـيوعية، وإنما كانت الثورة مجموعة توجيهات اجتماعية خطيرة لصالح المجتمع المصرى فى مجموعه..

وأنا لا أنكر أننى أنتمى إلى السـادات كقائد.. كما أنتمى إلى عبد الناصر كزعيم آمنا به.. وسـرنا جميعـا وراءه!! فجمال فكر يسـارى.. وأنور السادات فكر يمينى.. وهناك دائما كان تحالف لجميع المفكرين.

ويكمـل بإصـرار.. فلماذا لا أنتمى إلى أنور السـادات هـذا القائد اتخذ قـرارات عظيمة منهـا.. قرار طرد الخبراء السـوفييت من مصر واتخاذ قرار حرب أكتوبر ثم اتخاذ قرار اسـترداد أرضنا التى احتلتها إسرائيل بالسلم.. وسفره إلى كامب ديفيد.

وهل بدأت رحلتك مع المال والبيزنس فى عصر أنور السادات؟؟...

نعـم.. بالفعل بدأت أعمالى الحرة فى عصر أنور السـادات.. فهو الذى أصدر قانون الاستثمار ٤٣ لسنة ١٩٧٤م هذا القانون الذى فتح مصر على

العالم.. ولهذا دعا العالم إلى الاستثمار داخل مصر.. لقد أراد أن يعيش الشعب المصرى فى رفاهية.. لقد أراد السادات أن يشارك الشعب فى الإنتاج والعمل وعدم الاكتفاء على جهود الحكومة بمفردها!!. ولهذا كان يقول السادات مقولته المشهورة «خذ الأصل.. وأعطنى العتبة».. أى اشتغل واكسب واعط للدولة حقها!!

ويشير قوطة فى نفس الوقت إلى تحققاته على توجيهات عبد الناصر فيقول.. عندما أمم قناة السويس وبعض المؤسسات والمصالح وأعطى إدارتها لمن لا خبرة لهم ولا علم.. أدى إلى حدوث نوع من التسيب فى القوى الإنتاجية!!

محسوب على النظام

يقول عبد الوهاب قوطة.. كنت نائبا فى مجلس الشعب بدءا من عام ١٩٦٨م.. لقد ظللت فى مجلس الشعب ثلاث سنوات فى عهد عبد الناصر إلى أن تم حل المجلس فى سبتمبر ١٩٧٠م.. تلك الفترة التى شهدت أحداثا كثيرة.. وكنت أنا محسوبا فيها على نظام عبد الناصر.. ولهذا عندما تولى الرئيس أنور السادات الحكم بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وأراد الرئيس السادات القيام بثورة التصحيح كما أطلق عليها واعتبرنى البعض وقتها من جيل النظام السابق.. ولذلك كان اسمى مدونا من بين أسماء المتهمين الذى سوف يلقى القبض عليهم.. وتلقيت مكالمة تليفونية فى اليوم السابق على ذلك الساعة الثانية صباحا.

ولكن علمت فيما بعد أن اسمى تم حذفه من قائمة المتهمين وتم وضع اسم آخر بدلا منى.

رفقاء الكفاح

ولكن يقول رفقاء الكفاح فى عهد عبد الناصر إنك كنت متورطا معهم أثناء قيامهم بكتابة منشورات ضد الرئيس أنور السادات لاعتراضهم على عدم قيام الرئيس أنور السادات بحرب لاسترداد الأرض المصرية التى احتلتها إسرائيل فى حرب ١٩٦٧.. ولكنك اختفيت.. ولم يتم سجنك كزملائك ورفقاء الكفاح؟ فما هى حقيقة الأمر؟

من أخبرك بهذا يريد إعطائى توصيفا بطوليا لا أحتاجه منه والحقيقة أن أحد الخبثاء همس فى أذن الرئيس السادات بأننى من القوى المضادة له، واكتشف أنى مظلوم.. ولست بخائن كما زعموا عنى.. كما أننى أؤكد أن هؤلاء الذين تم سجنهم فى ثورة التصحيح أن ما حدث بينهم وبين الرئيس السادات مجرد اختلاف فى وجهات النظر وكان اختلافا يمكن تجاوزه.

ولكن من الصعب إقامة نظام جديد بدون ضحايا! ودائما ما يكون هناك من يريدون ركوب الموجة ويسيئون لغيرهم لمجرد تحقيق مغانم لأنفسهم.

❑❑❑

الشخصية الخامسة

محمد سيد عبد المنعم

ابـن من أبناء التنظيم الطليعى.. فقد كان محمد سـيد عبد المنعم أمين الاتحاد الاشتراكى بدائرة عابدين.. وكان يتزعم المواجهات الثورية فى أعقاب نكسـة سـنة ١٩٦٧م للتعبير عن مصالح الجماهير وآمالهم.. وطموحاتهم..

ألقى القبض عليه عام ١٩٧١م فى ثورة مايو.. وسـجن لمدة ٥ سنوات.. وبعـد الإفراج عنه.. سـافر إلى السـعودية حيث عمل كرئيس لشـركة الراجحى للصرافة.. وهى من أكبر شركات الصرافة فى السعودية.

وقبل سفره كان يعمل مديرا لشؤون العاملين ببنك القاهرة بشارع عدلى.. وكان له مقر يمارس فيه مهامه السياسـية.. حيث إنه كان من المنتمين للحزب الناصرى.

وفى عام ١٩٨٥م طالعتنا الصحف بشكل جديد لمحمد سيد عبد المنعم.. فقد أصبح من الأثرياء.. وأصبح من المساهمين فى مستشفى السلام الدولى ورئيس مجلس إدراتها.

هناك من ارتبط بفكر عبد الناصر كزعيم.. وبنظريته كصاحب فكر.. وآمن به كعقيدة تؤكد أنه لا مستقبل إلا بتطبيق مبادئ هذا الفكر.. الناصرى.. وهناك فريق آخر.. ارتبط بعبد الناصر كرئيس دولة.. وبمجرد أن انتهى

دوره فـي الحيـاة.. أصبحوا على دين الرئيس الجديد.. يسـيرون على خطاه.. يؤمنون بأقواله وأفعاله كما آمنوا بأقوال وأفعال من سبقه.
أى أنهم ارتبطوا بعبد الناصر كصاحب سلطة.. وما يترتب على ذلك من إنجازات.. وطموحات تتحقق لهم بقربهم منه!!

كان ناصريا

ومحمد سـيد عبد المنعم النائب بمجلس الشـعب عام ١٩٦٨م واحد من الأعضاء النشيطين بالتنظيمات الطليعية.. تربى وترعرع فى منظمات الشـباب.. بل أصبح عضوا بارزا فيها حتى إنه تولى أمين منظمة شباب عابدين!!
تفرغ محمد سـيد عبد المنعم للعمل السياسـى.. فأصبح أنشـط من يمثل المعارضة والرقابة الجيدة داخل مجلس الشعب فى ذلك الوقت بحضوره القوى.. وذهنه الحاضـر.. ووجوده الذى لاتخطؤه العين.. ولا تتجاهله الآذان!!
كان يتوقع له مسـتقبل سياسى باهر فى ذلك الوقت.. فقط أخلص لمبادئه كناصرى حتى النخاع وظل على إيمانه لها بكل كيانه وكل ذرة من فكره!.
ولكن فجأة.. أتهم اتهاما خطيرا.. عندما وجهت له تهمة تدبير المظاهرات الجامعيـة التى خرجت من جامع «كخيا» وحكم عليه بالسـجن ثلاثة سنوات.. مع كثير من الأسماء.

تغيير.. مسار

ولكن.. هل لعبت الصدفة دورا فى تغيير مسار محمد سيد عبد المنعم؟ أم أن فكره السياسى.. قد اتجه ببوصلته فى اتجاه آخر.. فقرر أن يسير

وراءه متناسيا كل تاريخه وكفاحه.. وإيمانه.. وانتمائه للفكر الناصرى.. واعتناق منهجه؟!!.

وساعده على شق طريقه الجديد.. الدكتور عبد العزيز حجازى الذى كان وقتها وزيرا للمالية.

ذهب إليه محمد سيد عبد المنعم بعد خروجه من السجن لزيارته بمكتبه.. فقد كانت تجمعهما صداقة قديمة!!

وهناك تعرف على الشيخ الشوبكشى «سعودى الجنسية» وصاحب مجموعة الشوبكشى.. الذى كان يزور الدكتور عبد العزيز حجازى، تلك المجموعة التى يصدر عنها دار عكاظ وغيرها من المؤسسات الكبرى والفنادق مثل جولى فيل وغيرها.

كانت لديه مشكلة يعرضها على الدكتور عبد العزيز حجازى.. فأخبره أن أصلح من يحل له مشكلته هو محمد سيد عبد المنعم.. وبالفعل تمكن عبد المنعم من حل المشكلة للشيخ الشوبكشى.. وبدأت علاقتهما وصداقتهما!!

وكان الشيخ الشوبكشى يقوم هو وشقيقه «فهد» باستثمار أموالهم بمصر فى ظل الانفتاح الاقتصادى بما يعادل ٥٠٠ مليون دولار!!.

وقرر محمد سيد عبد المنعم أن يسلك طريقا مفروشا بالورود وفى نهايته.. آلاف الملايين!! استبدلها بالشعارات الجوفاء.. بالسجن.. وآلام الناس.. وآنات الفقراء والمحتاجين الموجعة!!

ترك كل ذلك وراءه.. عمل الناصرى السابق مستشارا للشيخ الشوبكشى بداية من عام ٧٣ - ٧٤ !!

وتداخلت المصالح.. وتشعبت روافدها.. وتوثقت العلاقة بين محمد سيد عبد المنعم والشيخ الشوبكشى.. حتى وصلت إلى أن أصبح من بين المؤسسين لمجموعة الشوبكشى وشريك لهم بقدر متساوٍ من رأس المال!!
وكبرت أحلامه وطموحاته التى أصبحت بلا حدود.. وزادت واستفحلت فوقعت المشاكل بين الشركاء.. واختلفوا فيما بينهم حتى وصل الأمر إلى تدخل المحامين الكبيرين نبيل نجم وأحمد الخواجة لفض المشاكل القائمة بينهم.. والتى انتهت بقيام محمد سيد عبد المنعم برد مبلغ ٣٢ مليون جنيه من مديونياته لمجموعة الشوبكشى.
ويظل السؤال المطروح.. أين هو الآن؟ أين محمد سيد عبد المنعم المناضل الناصرى القديم.
إنه يعيش كأساطير ألف ليلة وليلة.. «حشم وخدم وجوارى».. إنه يعيش كأغنى الأغنياء وأصحاب الملايين والثروات فى ضيعته الخلابة بأسبانيا!!

❑❑❑

شاهد.. على العصر

هناك بعض الأشـخاص الذين لم يسطر التاريخ مشاركتهم الفعلية في فتراته الزمنية المختلفة برغم أدوارهم الإيجابية الواضحة.

لقـد عاصر نبيل محمد مهدى نجم المحامى الشـهير كثيرا ممن نشـير إليهم فى هذا الكتاب.. وله آراء مختلفة حولهم.

فقد شاركهم فى العمل السياسى والعمل العام فى الستينيات.. وارتبطوا جميعا بفكر عبد الناصر ومبادئ الناصرية أو الاشتراكية وأصبحوا جميعا جزءا لا يتجزأ من هذا المناخ السياسى السائد حينئذ!!

فمع ميلاد ثورة يوليو بدأ انتماؤهم الحقيقى لهذه الثورة.. وارتبطوا بفكر عبد الناصر الذى كان يؤمن بالقومية العربية.. والوحدة الوطنية جغرافيا واقتصاديـا ومناداته بالعدل الاجتماعى.. وزيـادة الإنتاج وتوزيع العائد على الكادحين والعمال وبدأ تكافؤ الفرص!

ويسـجل نبيل نجم المحامى الشهير شهادته على هذه الفترة من العصر فى السـتينيات والتى تشـكل خلالها وجدان المواطن المصرى والشـعب المصرى!!

فيقـول: بدأت عملى العام والسياسـى عـام ١٩٥٨م وكنت مازلت فى بداية حياتى العملية، فور تخرجى فى كلية الحقوق تم انتخابى لأمانة الزيتون وتم اختيارى من بين مجموعة متميزة جدا.. الشيخ حسن مأمون

شـيخ الأزهر والمصطفى المستكاوى وهو من رجال الثورة والضباط الأحرار وكان رئيس تحرير المساء ودار التعاون وكذلك كمال محجوب بطل العالم فى رفع الأثقال.

وكان من الواضح التباين الواضح والتوليفة المتناقضة من الفئات المختلفة.. وكان لا يمكن استمرار ذلك الشكل وبدأ بالفعل تنظيمه فتم تأسيس الاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦١م.

العمل السياسى.. ليس فهلوة

ثم يضيف قائلا: قررت التفرغ للعمل السياسى بدءا من عام ١٩٦٣م حيث أصبحت عضوا بمجلس الأمة وأمينا لمنطقة الزيتون.

والتحقت بالمعهد العالى للدراسات الاشتراكية.. ثم أُرسلت فى منحة إلى ألمانيا.. وأصبحت الاشتراكية والعمل السياسى بالنسبة لى منهجا ومبدأ.. وليس فهلوة! والكثير لم يستطع الاستمرار ممن اعتنقوا الفكر الناصرى.. فسقط بعض منهم على أعتاب مرحلة جديدة فى تاريخ مصر!!

منهم عبد الوهاب قوطة.. أقدم عضو بمجلس الشعب عن دائرة بورسعيد!!. الذى قَبِلَ أن يصبح مليونيرا.. فى عصر أنور السادات على أن يصبح وزيرا فى عصر جمال عبد الناصر!!.. فانطلق كغيره من الانفتاحيين.. وأصبح من أصحاب المصانع والشركات.

ترك الساحة

ويكمل شاهد عصره شهادته فيقول: بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠م.. كنت من أوائل القيادات التى طلبت إنهاء تفرغى

للعمل السياسى والعمل الميدانى.. وقررت ترك الساحة لقيادات جديدة تتناسب مع فكر وقيادة الرئيس الجديد محمد أنور السادات!!
وبالفعل أصبحت أنا وزملائى الرافضين التعاون مع نظام أنور السادات وذهبنا إلى منزل شعراوى جمعة وزير الداخلية فى ذلك الحين ونائب رئيس الوزراء!! وأعلنا عن رغبتنا جميعا فى التوقف عن العمل السياسى والانسحاب من الساحة!! ورفض التعاون مع الرئيس أنور السادات!!
وكان عددنا ٩١ شخصا وجميعهم من القيادات الناصرية المميزة وسجلنا اعتراضنا على قيادة السادات رئاسة الجمهورية فقد وجه إليه اتهام فى ذمته المالية.. واتهام باستيلائه على قصر الموجى بالهرم أثناء علاج الرئيس جمال عبد الناصر بالخرطوم!!
وظل شعراوى جمعة يدافع عن اختيار السادات كرئيس للجمهورية، وبعدها ألقى القبض علينا.. وأطلق علينا مراكز القوى..

محكمة الثورة

وفى ١٥ أغسطس أصدر الرئيس الراحل السادات قرارا جمهوريا رقم ١٩٢٩ بتشكيل الدائرة الثانية لمحكمة الثورة من اللواء عبد القادر أحمد حسن نائب وزير الحربية رئيسا.. واللواء محمد عوض الأحول مدير القضاء العسكرى.. والعميد بحرى أحمد عبد الرؤوف جمال الدين بالقضاء العسكرى البحرى عضوين، على أن يمثل الدكتور مصطفى أبوزيد فهمى سلطة التحقيق والادعاء.. ويعاونه فى ذلك عميد أمين الجندى ومقدم مختار حسين شعبان..

وقد اصطبغ تشكيل الدائرة الثانية لمحكمة الثورة بهذه الصبغة العسكرية نظرا لأنها كانت مخصصة فقط لمحاكمة الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة السابق.

أما الدائرة الأولى التى مثل أمامها جميع المتهمين وعددهم ٩٠ متهما فقد كانت مشكلة وفقا للقرار الجمهورى من حافظ بدورى رئيس مجلس الشعب رئيسا.. وبدوى حمودة رئيس المحكمة العليا وحسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية عضوين وممثل الادعاء الدكتور مصطفى أبوزيد فهمى المدعى الاشتراكى.

وقد بدأت الدائرة الثانية لمحكمة الثورة إجراءات محاكمة الفريق أول محمد فوزى عقب انتهاء الدائرة الأولى من محاكمة المتهمين أمامها.

وكان ذلك يوم الإثنين ٢٥ أكتوبر ١٩٧١م بمبنى الحكومة المركزية بمصر الجديدة.. وقد أحضر المتهم من سجن القلعة وأدخل قفص الاتهام فى الساعة التاسعة وأربعين دقيقة.

وبدأت الجلسة الأولى من جلسات المحاكمة فى العاشرة والنصف صباحا.. وحضر للدفاع عن المتهم اللواء على منير مراد المحامى.

وبعد أن أقسم رئيس وعضو المحكمة اليمين على نسخة القرآن الكريم بأن يحكموا بالعدل وأن يحترموا القانون.. وقف العميد أمين الجندى عضو هيئة الادعاء وقرأ نص قرار الاتهام الموجه إلى الفريق أول متقاعد محمد فوزى أمين فوزى وكان القرار يضم ثلاث تهم:

أولا: قام هو والمتهمون «شعراوى جمعة وعبد الرؤوف وسامى شرف وثمانية آخرون» بمحاولة لقلب وتغيير دستور الدولة ونظامها الجمهورى

وشـــكل الحكومة بالقوة.. وبذلـــك يكون قد ارتكـــب الجناية المنصوص عليهـــا فى المادة ٨٧ من قانون العقوبات والمادة ١٣٨أ من قانون الأحكام العسكرية.

ثانيـــا: أتى أفعـــالا ترمى إلى الخروج عن طاعـــة رئيس الجمهورية وإلى مناهضـــة الســـياســـة العامة التى تتبعهـــا الدولة فى المجالـــين الداخلى والخارجـــى.. وبذلك يكون قد ارتكب الجناية المنصوص عليها فى المادة ٩٩ من قانون العقوبات والمادة ١٣٨أ من قانون الأحكام العسكرية!!..

ثالثا: اشترك فى اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب الجرائم سالفة البيان واتخاذها وســيلة للوصول إلى الغرض المقصود مـــن الاتفاق وهو الإطاحة برئيس الجمهورية واللجنـــة المركزية.. وبذلك يكون قد ارتكب الجناية المنصوص عليها فى المادة ٩٦ من قانون العقوبات والمادة ١٣٨أ من قانون الأحكام العسكرية.

إصدار الأحكام

كان اليوم العاشر من ديسمبر ١٩٧١م هو الموعد الذى حددته محكمة الثـــورة بدائرتيهـــا الأولى والثانيـــة لإصدار أحكامها فـــى قضية الخيانة رقم (١) لسنة ١٩٧١م المقدمة من المدعى الاشتراكى والمتهم فيها شعراوى جمعة وآخرون.

وكـــذا فى القضية المتهم فيها محمد فوزى، وبعد أن انتهى حافظ بدوى رئيـــس الدائـــرة الأولى من إعلان أحكام المحكمة علـــى ٩٠ متهما تمت محاكمتهم أمام دائرته..

رفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة والنصف.. وبعد ساعة كاملة.. دخلت الدائرة الثانية قاعة المحكمة واتخذت مكانها فوق المنصة.. وكانت برئاسة اللواء عبد القادر أحمد حسن نائب وزير الحربية.. وعضوية عوض الأحول مدير القضاء العسكرى والعميد بحرى عبد الرؤوف جمال الدين بالقضاء العسكرى للقوات البحرية وفى منصّة الادعاء جلس الدكتور مصطفى أبوزيد فهمى ومعاونه المستشار إبراهيم صالح والعميد أمين الجندى مساعد المدعى العام العسكرى.. والمقدم مختار شعبان رئيس النيابة العسكرية.

وحكمت المحكمة حضوريا بمعاقبة المتهم فريق أول متقاعد محمد فوزى أمين فوزى بالأشغال الشاقة المؤبدة وذلك نظير التهم المنسوبة إليه.. والمحكمة حرصا منها على بحث جميع جوانب القضية استعرضت طلب الرحمة والاستعطاف المقدم من المحكوم عليه.. وعرضته على السيد رئيس الجمهورية عند التصديق على الحكم.. لذلك صدق الرئيس على حكم المحكمة بعد تخفيف العقوبة لتكون الأشغال الشاقة خمس عشرة سنة.. ولم يمض الفريق فوزى من مدة العقوبة الموقعة عليه من المحكمة وهى خمسة عشر عاما سوى حوالى عامين أمضاهما ما بين مستشفى الحلمية العسكرية ومستشفى المعادى، ولم يدخل السجن مطلقا مثل زملائه الذين صدرت عليهم الأحكام بالأشغال الشاقة من الدائرة الأولى لمحكمة الثورة.

وقد ذكر الفريق محمد صادق وزير الحربية وقتئذ أنه لم يسمح بوضع محمد فوزى فى السجن كباقى رفاقه.. ولما أغضب ذلك التصرف الرئيس السادات واتهمه بأنه يجامل أعداءه.. رد عليه بأن القائد العام للقوات

المسلحة لا يوضع فى السجن أبدا.. لأنه أصبح رمزا للقوات المسلحة وحتى لو أخطأ فيجب ألا يكون جزاؤه ما يمس كرامته أو كبرياءه.
أما الخمسة الآخرون فقد كانوا الفريق متقاعد محمد صدقى محمود واللواء متقاعد إسماعيل لبيب.. والعقيد متقاعد تحسين زكى.. والأستاذين عباس رضوان ومصطفى أمين.

مجرد.. صراع على السلطة

ونظرا للأهمية البالغة لهذه الفترة أو الحقبة التاريخية.. فلابد أن أؤكد للقارئ أن تناولنا لها لا نهدف من ورائه سوى تسجيل صحيح للتاريخ.. وموقفى هو مجرد تأريخ لأحداث تتصل بموضوع الرئيس معتمدة فيها على وثائق ومستندات ومواجهة مباشرة مع أصحابها!
من هنا أستطيع أن أشير إلى أن الصراع فى ١٥ مايو مجرد صراع على السلطة.. ولم تكن القضايا التى فجرت هذا الصراع قضايا حقيقية تستدعى هذا الصدام الذى وقع.. بل كانت بمثابة الذرائع.. التى تعلل بها كل فريق لتتم له تصفية الفريق الآخر..
ولقد استطاع الرئيس الراحل السادات بفضل استخدامه للشرعية الدستورية أن يكسب المعركة.. وأن يلقى بأعدائه فى غياهب السجون ولو كان قد خسر المعركة أمامهم لكان قد لاقى بلا شك نفس المصير..
فالصراع على السلطة أمر عرفته البشرية منذ أقدم الحقب والعصور.. وقل أن يخلو تاريخ دولة من الدول من أنواع مختلفة وأشكال متباينة منه عبر مراحل تاريخها الطويل.. ولكن الأمر الذى يؤسف له حقا

أن يتبادل طرفا الصراع فى مصر فى ١٥ مايو ١٩٧١م هذه الاتهامات الخطيرة التى تشين السمعة والشرف وأن تصل الخصومة بينهما إلى حد أن يتهم كل منهما الطرف الآخر بالعمالة والخيانة لدولة أجنبية!

إن السادات سواء فى خطبته بعد ١٥ مايو ١٩٧١م أو فى كتاب «البحث عن الذات» الصادر عام ١٩٧٧م وصف أفراد جماعة على صبرى بأنهم كانوا خونة وعملاء للاتحاد السوفييتى..

كما أن بعض أفراد هذه الجماعة عللوا فى مناسبات مختلفة أن سر مواجهتهم للسادات أنه قد انحرف عن الخط الناصرى وعن الاشتراكية.. و «أنه باع البلد للأمريكان».

والحقيقة أن الأمر بالنسبة للطرفين وقتئذ لم تكن فيه شبهة خيانة أوعمالة.. وأن العملية لم تكن إلا اختلاف فى وجهات النظر بشأن الوسيلة التى يمكن بها حل مشكلة الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧م.

فقد كان أفراد جماعة على صبرى يعتقدون أنه لا فائدة ترجى من الحل السلمى.. وأنه لا مناص من الحرب مع إسرائيل.. وأنه لا يمكن الثقة بأمريكا بسبب انحيازها التام لإسرائيل.

ومن أجل ذلك كانوا يرون ضرورة استمرار السياسة التى رسمها عبد الناصر.. وهى الاعتماد التام على الاتحاد السوفييتى الذى هو المرور الوحيد لمصر فى السلاح حتى يتم للقوات المسلحة خوض غمار الحرب واسترداد الكرامة الضائعة والأرض المسلوبة.

ولكن السادات كانت له سياسة أخرى فقد كان يرى أن من الخطأ الاستمرار فى معاداة أمريكا والاكتفاء بالسير فى الفلك السوفييتى..

فقد أثبت الاتحاد السوفييتى عجزه عن حل القضية سلميا.. أو فرض تدخله لحلها عسكريا.. ولقد وضح بجلاء أن سياسته فى تسليح مصر منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧م قائمة على تحقيق قدرتها الدفاعية فقط.. مما يعنى عدم إمكان مصر بالقيام بهجوم ضد إسرائيل فى المستقبل.

وقد كان السادات مقتنعا بأن الاتحاد السوفييتى يماطل فى إرسال الأسلحة والمعدات برغم الاتفاقيات المعقودة ويتذرع بمختلف الحجج والمبررات لتعطيلها.. ومن أجل تنفيذ سياسته الجديدة نحو أمريكا التى كان فى اعتقاده أنها تملك ٩٩٪ من أوراق اللعبة.

أعلن السادات مبادرته للسلام فى ٤ فبراير سنة ١٩٧١م وبذل جميع جهوده لتحقيق اتصالات وبثقة بالدوائر المسؤولة فى واشنطن عبر القنوات الدبلوماسية الظاهرة.. ومن خلال قنوات الاتصال السرية.. إلا أن آماله سرعان ما انهارت فى أوائل ١٩٧٣م ناحية إمكان الوصول إلى تسوية سلمية عن طريق أمريكا.. فعاد تفكيره مرة أخرى صوب الحل العسكرى باعتباره الأمل الوحيد لتحريك الموقف وتحرير الأرض.. وعاد يحسن علاقاته من جديد مع الاتحاد السوفييتى بعد الفجوة التى حدثت بينهما نتيجة لقراره فى يوليو ١٩٧٢م بطرد الخبراء والمستشارين السوفييت من مصر.

وقد أدت جهوده المثمرة إلى عقد صفقات ضخمة للسلاح بادر الاتحاد السوفييتى بإرسالها إلى مصر خلال عام ١٩٧٣م مما أمكن معه قيام حرب أكتوبر المجيدة.

من هذا التحليل يمكن الحكم بسهولة أن كلا من الطرفين كان لديه من الأسباب المنطقية ما يبرر له المضى فى السياسة التى اعتنقها.. والتى كان يرى أن فيها الحل الأمثل للمشكلة ! !

وليس من الجائز عقلا ولا منطقا اتهام أى مصرى كان يؤمن بأى واحدة من هاتين السياستين بأنه خائن أو عميل.

❑❑❑

المصـــادر والمراجع

- كتـاب «الناصرية فـى العالم الثالث» لكمال أحمـد، ص ١٥.
- كتاب «الناصريون قادمون» للمؤلف محمد جلال كشك صـ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١.
- كتاب «الحكومة الخفية فى عهد عبد الناصر» ص ١٥٨، ١٥٩، ١٨٧.

الفهرس

- مقدمة..... ٣
- تمهيد..... ٧
- أولاد عبد الناصر..... ١٥
- الشخصية الأولى المليونير.. محمد فريد حسنين..... ١٨
- الشخصية الثانية أشرف مروان.. الطفل المعجزة..... ٢٩
- الشخصية الثالثة من القاع إلى القمة.. أحمد إبراهيم..... ٥١
- الشخصية الرابعة قوطة.. حوت بور سعيد المغرور..... ٥٩
- الشخصية الخامسة محمد سيد عبد المنعم..... ٧٢
- شاهد على العصر..... ٧٦
- المصادر والمراجع..... ٨٦

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٥٦٩٩
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7847-5

١ / ٢٠١٣ / ٤٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)